

خط

القوانين الروحانية الكونية

تفريغ حلقات الموسم الرابع
من بودكاست خط

١٤٤٤هـ



Albaydha



Albaydha.sa

الحلقة الأولى: قوانين كونية؟ أم عقائد فلسفية!

Albaydha

مفهوم القوانين الروحانية:

أولاً: مفهوم «القانون»:

مرجو هذه القوانين يسمونها كذلك، وسنستخدم هذا اللفظ تنزلاً مع المخالف في هذا الأمر؛ ولأن هذا هو الاصطلاح الدارج، ولا يعني استخدامنا لهذا المصطلح موافقتنا لهم أنها قوانين، ولا يُسَلَّم لهم بذلك؛ إذ يتبين خطؤهم من خلال تعريف القانون.

يمكن تعريف القانون أنه: «القاعدة الثابتة الدائمة التي لا تتخلف، والتي يمكن الكشف عنها بالتجربة».

وفي بعض التعريفات اللغوية نجد أنّ الجرجاني عرفه بأنه: «أمر كُلِّي ينطبق على جميع جزئياته التي تُعرَف أحكامها منه»، وقوله: «ينطبق على جميع جزئياته» نقطة مهمة؛ ولذلك يسمى قانون أو قاعدة.

ونلاحظ مثلاً أن صلاح الراشد الذي يعتبر من أكبر المروجين للقوانين الروحانية أو القوانين الكونية – كما يسميها – يعرفها بأنها: «حقائق مستمرة وثابتة تحصل على نتائج مستمرة والكل فيها متساو».

فهو أيضاً يؤكد على قضية أن الناس كلهم متساوون في نتائج هذه القوانين، وأنها قائمة، وأنها متحققة باستمرار.

وعند التمثيل لهذه القوانين يخلط فيقول: «هي ليست محسوسة، ولا قابلة للقياس»، ويضرب مثلاً: أنك إذا أحسنت للناس فإنهم يحبونك.

وهذه القوانين التي يتحدثون عنها بهذه التعريفات ليست قوانين، فلا يمكن القول بأنها قاعدة لا تنخرم، أو القول بشبوتها ودوامها أو عدم تخلفها، بل الأصل فيها التخلف والانخرام، والذي يتحقق منها هو النزر اليسير النادر، فهي كما يعرفها ديباك شوبرا أنها: خاضعة لأشبه ما يكون بالمزاج.

وتطبيقهم لهذه القوانين وتفصيلها تختلف تمامًا عن التعريف المذكور للقانون، فتبين عدم اطرادها أو كونها قوانين مستمرة.

ثانيًا: الروحانية:

وصفت هذه القوانين بـ«الروحانية» ولم توصف بكونها وضعية -مع أنها من وضعهم-؛ لأن المتبادر للذهن عند الإطلاق الاصطلاحي لكلمة «القوانين الوضعية» أن يقصد بها: القوانين التي تستخدم في سياسة الناس وحكمهم. وكلمة «روحانية» تتعلق بالتيار الروحاني، فوصفناها نحن بالروحانية نريد بذلك أنها نشأت في هذه البيئة، وهذا الإطار الفلسفي والفكري والعقدي، وهم يستخدمون هذا المصطلح -القوانين الروحانية- أحيانًا نسبة إلى الروحانية التي يتقبلونها وينتسبون إليها، فهي إحدى المصطلحات التي ليس لديهم إشكالية في الانتساب إليها؛ ولذلك لا يترددون في تسميتها القوانين الكونية الروحانية.

والتنزل معهم في تسميتها قوانين روحانية ليس فيه إقرار بأنها قوانين حقيقية موجودة في الخارج، لكن لأجل الربط بين الواقع وبين موضوع النقد، فلا بد أن يكون ثمة شيء مشترك، فتسمى بذلك جمعًا بين المصطلح الدارج عندهم -الذي هو الكونية- وبين حقيقتها وهي أنها روحانية وليست كونية.

• الفرق بين القوانين الروحانية وما يسمى بالقوانين الكونية أو السنن الإلهية:

قد حصل خلط في كثير من الأحيان بين القوانين الروحانية الكونية وبين ما يطلق عليه: السنن الإلهية، وقد يكون الخلط في كثير من الأحيان مُتَعَمِّد؛ فالملاحظ عند حديث الروحانيين عن القوانين الروحانية يقدمون لها بالحديث عن السنن الإلهية / السنن الكونية -وهي في الغالب قائمة على معانٍ شرعية-، أو يتكلمون عن القوانين الكونية -أي الفيزيائية المادية- كمقدمة لقبول

القوانين الروحانية، وكأنه لا فرق بينها؛ فلذلك من الأهمية بمكان أن نوضح ما هو الفرق بين السنن الإلهية وبين ما يدعون.

أولاً: معنى السنن الإلهية:

عند إطلاق السنن الإلهية تنصرف الأذهان إلى عدة أنواع:
 أ) السنن الإلهية: وهي غالباً متعلقة بالقضايا الشرعية وأمور الطاعة، ففي قول الله سبحانه وتعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٧]، السنة هنا هي عبارة عن نتيجة مطردة، وهي عقاب الله المكذبين ونحو ذلك، وقول الله -سبحانه-: ﴿دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا﴾ [محمد: ١٠]، هذه أيضاً إشارة إلى السنن الإلهية في معاقبة الكفار.

فالكلام في هذه الآيات هي في سنة الله -سبحانه وتعالى- في خلقه التي تتعلق -غالباً- بمسائل الإيمان والطاعة، وعاقبة الظلم ونصرة المؤمنين، ونحو ذلك.

ولهذه السنن حكم، منها: الاعتبار بما سبق من قصص الأولين، والحث على التزام الطاعة، ونحو ذلك.

وطريق ثبوت السنة الإلهية: الشرع، لا يمكن أن يثبت بغير الدليل الشرعي، فيكون تتبعها في النصوص الشرعية.

ولا يمكن قياسها، أي ليس بالضرورة أن يعاقب العصاة بشيء مباشر مشاهد كالزلازل مثلاً، بل العقوبة قد تكون بطريقة أخرى لا يستطيع الإنسان قياسها، وكذلك نصرة المؤمنين لا تكون بشيء محدد يحصل لهم، في زمن محدد أو بطريقة معينة؛ فليس لهذه السنة الضوابط المنطبقة على التجربة الحسية.

فنسلم أن الله -سبحانه وتعالى- سينصر المؤمنين، ولكن كيفية النصر وزمنه قد لا يتبين لنا؛ لأنها متعلقة بأفعال الله، وفيها جانب غيبي لا يطلع عليه الإنسان؛ فهي تختلف.

(ب) السنة الإلهية المتعلقة بالتكوين المادي:

أي: القوانين الكونية الطبيعية، وهي أرضية أكثر من كونها كونية؛ لأن القانون الذي ينطبق على الإنسان في الأرض قد يختلف إذا ذهب إلى القمر مثلاً، فهي في الغالب قوانين أرضية، لكنها قوانين فيزيائية مادية، ويطلق عليها: (the law of physics the law of science).

ويدخل في هذه القوانين الطبيعية: الفيزياء والكيمياء والأحياء، بل حتى القوانين الرياضية -أحياناً-.

من ذلك مثلاً: نقطة غليان الماء، تبخر السوائل، تفاعل بعض المواد الكيميائية، موت الكائن البحري عندما يخرج من البحر دقائق معينة ... إلى غير ذلك من القوانين المعروفة التي تُدرَك بالملاحظة، وهي قابلة للقياس، ومحل اتفاق عند كل العقلاء القائمين بمثل هذه التجارب.

والسنة بهذا المعنى تثبت بطريقتين: الملاحظة والتجربة المطردة، أو ما يعرف بالمنهج العلمي، ولو ورد نص شرعي لإثبات شيء من ذلك فإنه أيضاً يُسلم به بلا شك. وإذا خولفت هذه السنة صار هذا خرقاً للعادة، وتجري الأحكام بناء على ذلك. فمثلاً إذا قيل: الأصل أن الإنسان يمشي على الأرض ولا يطير في الهواء، فلو طار إنسان -بدون آلة- صار هذا -ما لم يكن حيلة- خرقاً للعادات، واندرج في مخالفة السنن أو القوانين الطبيعية، أو ما يطلق عليه اصطلاحاً في العصر الحديث: القانون الكوني.

ولشيخ الإسلام ابن تيمية تعريف عام للسنة يدخل فيها مفهوم السنة بهذين المعنيين، فيقول: «أنها هي العادة التي تتضمن أن يَفْعَلَ فِي الثَّانِي مَا فَعَلَ بِنَظِيرِهِ الْأَوَّلِ».

أي: عدم التفريق بين المتماثلات، فكلما كان الإنسان كذا كانت النتيجة كذا، وكلما حصل هذا الأمر تكون النتيجة مماثلة لهذا.

(ج) السنة الإلهية المتعلقة بطبائع النفوس، وهي منطقة شائكة ومثيرة للجدل.

والمقصود بها ما يطلقون عليه أحياناً (Human Nature) الطبيعة أو الجبلة البشرية، ويمكن تعريفها بأنها: نوع من المبدأ الذي يقوم على أنه للبشر خصائص، أو ميول معينة جُبلوا عليها وخلقوا عليها، فمثلاً: من خصائص البشر أن الإنسان إذا ظلمته؛ يغضب أو يحزن، وإذا أحسنت إليه أحبَّك.

وهذه بلا شك فيها مستويات، فمن هذه الأشياء ما يكاد يكون محل اتفاق، مثل القول بأن من طبيعة الإنسان أنه يستاء من الظلم، لكن في تفاصيلها سنجد أن فيها اختلافًا واسعًا، فمثلاً: هل الإنسان الأصل فيه الخير، أو الشر؟ إلى آخر ذلك مما قامت عليه كثير من الفلسفات والمدارس النفسية وغير ذلك، وهو ليس محل اتفاق عند عموم البشر.

وهذا محل جدل وليس بقانون، لكن ذكر هنا تعليقاً على ما ذكره صلاح الراشد: "أن طبيعة الإنسان حُبّه لمن أحسن إليه"، فمَثَلُ بهذا المثال وجعله مقدمة لقبول القوانين الروحانية؛ فكأنه يوصل إلى خطوة في التسليم لما بعده من القوانين التي سيقدمها، فيعطي شيئاً بسيطاً متفقاً عليه؛ حتى يبني عليه ما بعده؛ لأنه لو قال مثلاً القوانين الفيزيائية، قد تخفى على بعض الناس أو ربما تشكل عليهم، بينما مثل هذا -الطبيعة والجبلة- يشعر بها الإنسان من نفسه فيسلم له ابتداءً.

وهذا النوع إن ثبت فإنه يثبت بطريق الدليل الشرعي أو ما اتفق عليه العقلاء.

إذا النوعان اللذان يمكن اعتبارها قوانين مطردة هما:

١- السنن الإلهية التي يسير وفقها الكون، وتُعرَف بالشرع.

٢- القوانين الكونية في علوم التجربة والطبيعة، أي: الظواهر الطبيعية، وهي مبنية على الملاحظة والتجربة الحسية، ولها ضوابط: أن تكون طبيعية محسوسة يمكن قياسها وملاحظتها، ومطردة تحدث دائما كل ما وجد الظرف، ومفسرة وواضحة، ومعقولة بناء على علاقات حسية.

فلو أراد أحد أن يقيس القوانين الروحانية التي يريد الترويج لها - كالجذب وغيره- على السنن الإلهية المتعلقة بالعقوبة أو الجزاء، نقول له: قياس مع الفارق؛ لأنك تتكلم عن شيء فيه نص شرعي أولًا، وثانيًا فيه جانب غيبي لا تستطيع أن تقيسه أو تبني عليه وإذا أردت أن تقيسها على القوانين الطبيعية فهو أيضًا قياس مع الفارق؛ لأن هذه قابلة للاختبار والقياس والتجربة، وأما قوانينك الروحانية فليست كذلك.

إذا ما هو القانون الروحاني؟

القوانين الروحانية هي في الحقيقة -وهذا التعريف ليس جامعًا مانعًا، لكنه يوصل الفكرة بإذن الله-: «معتقدات مبنية على الفلسفة الروحانية».

«معتقدات» مثل قولهم: "تعتقد أن الذي تشعر به وتفكر فيه ينجذب إليك" هذه عقيدة الآن، ونبعت وبنيت وتفرعت عن الفلسفة الروحانية؛ ولذلك نقول: قانون روحاني.

وتوظف هذه المعتقدات في العالم المادي والنفسي.

فمن الناحية النفسية: بأن أؤثر على مشاعرك، أؤثر على حبك لي، أؤثر على المجتمع وقبولي فيه، أو أؤثر على أمور أخرى متعلقة بالمادة كالشفاء، أو النجاح وما شابه ذلك.

«قانون» تجوزاً وتنزلاً وليس تسليماً، وهم يسمونها بذلك لاعتقادهم أنها قواعد لا تنخرم.

«روحانية»: نسبة إلى التيار الروحاني والفلسفة الروحانية التي تبني عليها هذه القوانين الممارسة في العالم المادي والنفسي.

وكونها معتقدات مبنية على الفلسفة الروحانية: هذا نقر به، وأنها توظف في العالم المادي وفي الأمور النفسية: نسلم به، أما اعتبارهم لها أنها قوانين وقواعد لا تنخرم: هذا هو محل الجدل والإشكال الذي لا نسلم به، فهي ليست قوانين أصلاً، وليست قواعد لا تنخرم.

ويعرف ديباك شوبرا القانون بأنه: «عملية يصبح بواسطتها كل مخفي ظاهراً» وهو تعريف غامض يبين لنا أن هذا المجال مختلف تماماً عن مجالات القوانين التي نتحدث عنها، فليس هذا تعريف القانون أبداً. ولو تأملنا تعريف السنن الإلهية، أو القوانين الكونية الطبيعية كقانون الجاذبية لا نجد فيها هذا الغموض.

- **تنبيه:** هناك ما يسمى القوانين الروحانية الأربعة عند المنصرين، يعني: أن الله يحبك، وأن عيسى صُلب لأجلك، أربعة قواعد أو قوانين – كما يسمونها – يبدوون فيها عند الدعوة أو الوعظ أو التنصير ومحاولة التنصير، تختلف تماماً عما نحن بصدد.

ولا يعني ذلك أن النصارى لا يمارسون القوانين الروحانية الباطنية هذه، ولكن المقصود أن في الدعوة النصرانية قوانين متعلقة بعقديتهم النصرانية.

● نشأة القوانين:

القوانين الروحانية عمومًا مبنية في أصلها وجذورها على الفلسفة الشرقية في أصولها (الهندوسية أو البوذية أو الطاوية)، ويمكن عزوها إلى الديانات الوثنية القديمة التي أخذت عنها ابتداءً، مثل: الهرمسية، وهي ديانة قديمة جدًا ليست من الديانات الحادثة.

فجذور هذه المصطلحات أخذت عن الديانات الوثنية الشرقية القديمة، أما المصطلحات نفسها ففي الغالب مصطلحات حادثة اخترعتها وصاغتها التيارات الباطنية الحديثة في الغرب، ونقلتها إلى العالم العربي والعالم الإسلامي، كالجذب والطاقة وغيرها، فهي ليست مصطلحات أصيلة في الفلسفة الشرقية.

فالأفكار موجودة في الديانات الشرقية، لكنهم لم يجعلوها لها تطبيقًا عمليًا، بل وضعوا القاعدة التي بنيت عليها هذه الممارسات والأفكار.

وإدراك الأصول والجذور الاعتقادية مهم جدًا؛ لأن كثيرًا من الناس لا يدركون هذا الجانب، والذين يمارسون هذه القوانين أو قانون الجذب مثلاً لا يعني بالضرورة أنهم يعتقدون أو يعلمون عن هذا الأصل، فالحكم هنا حكم على الشيء وفقًا لحقيقته.

أولاً: (القرن الأول - القرن الثالث الميلادي) القوانين السبعة الروحانية في الهرمسية:

- القوانين السبعة الروحانية الهرمسية بداية إشارات إلى الفلسفة، كانت في متون هرمس، وهذه المتون أصيلة في الهرمسية، كتبت في القرن الأول إلى الثالث للميلاد، فهي قديمة.

- وأشهر كتاب يسمى (الكباليون) يتضمن سبعة قوانين يسمونها: القوانين الهرمسية السبعة، وانتشرت هذه الآن بين المهتمين بهذا المجال حتى في المجتمع الخاص فضلًا عن المجتمع العربي أو العام.

والكتاب ليس أصيلاً في الهرمسية، بل متأخر، نشر أول مرة -ربما- عام ١٩٠٨ م أو ١٩٠٦ م، والذي ألفه: من المريدين المجاهيل والغالب المصرّح به: أنهم ثلاثة من الطلاب، وهذه عادة المؤلفات الباطنية -كإخوان الصفا- لا يعيّنون المؤلف؛ ليعطي طابعاً من الغموض والهالة لهذه المؤلفات وهذه النصوص.

وكثير من الباحثين ينسبون الكتاب ل: وليام أتكينسون، وهو مفكر في حركة الفكر الجديد التي نشأ فيها قانون الجذب بصورته الحالية، وهذا -من وجهة نظري- أقرب للصواب من كونه قديماً، فهو نص حديث نسبياً، لكنه مبني على أصول وقواعد قديمة، وهو منسوب إلى الفلسفة الهرمسية ومبني على قواعدها.

هذه القوانين السبعة هي: العقلانية، المطابقة، التذبذب، الازدواجية، التناغم، السبب والنتيجة، النوع الجنسي، إلى آخره.

متجذرة في الفلسفة (الهرمسية) التي تقوم على نفس الإشكالات ونفس العقائد التي هي في غاية الانحراف التي تقوم عليها الفلسفات الشرقية (الهندوسية والبوذية والطاوية):

- وحدة الوجود أو الحلول: يقولون أن الإله هو كل شيء.
- وحدة الأديان: عندهم أن حقيقة الأديان وجوهرها واحد.
- عقيدة التناسخ: تناسخ الأرواح.

والهرمسية دين باطني أشد من هذه الديانات، ديانة باطنية سرية، وتصوف فلسفي في غاية الانحراف، ولا تحوي طقوس أو سلوكيات كثيرة، بل الغالب عليه السحر، والتنجيم، وقد بنيت عليها هذه القوانين السبعة التي أصبحت اليوم تُمارَس لأجل جذب الحب، الثراء، أو الشريك، والكلمة المشهورة التي تنسب للهرمسية وهي موجودة في القوانين الكونية: "كما هو أعلى فهو أسفل"، ويفسرونها بالتفسير الباطني.

وهذا يبين لنا أن هذه القوانين بدائل دينية؛ لأننا لا نجد لها مصدرًا إلا مثل هذه النصوص أو تجارب شخصية روحانية، لا تجارب حسية مطّردة أو مخبرية، أو منهجية علمية واضحة، أو أدلة شرعية مُفسّرة بطريقة صحيحة.

وكثير من الناس لا يستحي من نسبته إلى الهرمسية، ولعل خفاء الفلسفة الهرمسية على المجتمع جعلهم يتجرؤون في إطلاق تسميتها؛ لأنه لو قال: القوانين الهندوسية أو القوانين البوذية، الناس عندهم شي من النفرة من هذه الديانات، لكن الهرمسية لا يعلمون ماهيتها.

وللقوانين الروحانية جذور أخرى مثل الديانات الشرقية: الهندوسية، البوذية، الديانات المصرية القديمة، كلها فيها إشارات، يقول أحد الباحثين في القوانين الكونية -وهو مؤيد لها-: ليست ثمة دين أو كتاب مقدس إلا وفيه إشارة إلى القوانين الروحانية، وبالدرجة الأولى عندهم طبعًا النصوص الشرقية. وآخر يقول: يمكن الحصول عليها أو الحصول على أصولها في البهاغافاد غيتا وفي الأوبانيشاد، وهي شروح وملحقات الفيدات.

ويبتدئ ديباك شوبرا كتابه: القوانين الروحانية السبعة للنجاح -الذي يباع وكأنه كتاب تطوير ذات- بترتيلة الخلق من كتاب الراجافيدا، ثم يبدأ يشرحها، وكذلك ينقل نقولاً كثيرة من الأوبانيشاد، ويتكلم عن المايا والبراهمان، فهو يشرح حقيقة عقيدته الهندوسية.

فلو سميت القوانين الهندوسية ربما كان أقرب من قوانين النجاح أو القوانين الروحانية.

ثانيًا: القرن التاسع عشر الميلادي:

- في أوائل القرن التاسع عشر الميلادي بدأ رجل مشهور يعد الأب الروحي - إن صح التعبير- للقوانين الكونية، بل قانون الجذب -على وجه التحديد- اسمه: فينس كويمبي، تحدث عمّا يعرف بمفهوم «العقل فوق المادة»، أو «العقل فوق الجسد»، ولم يسمه قانون الجذب تحديدًا، ولكنه تكلم عنه بمفهومه ومعناه.

- ثم في عام ١٨٧٧م ظهر أول ذكر لقانون الجذب بهذا المصطلح (law of attraction) عند هيلينا بلافاتسكي -رائدة الثيوصوفي- ومعروف معتقدها الباطني الإلهادي الذي إلى حدٍ ما كأنها بوذية منقّحة، لكنها هي في عقيدتها الحقيقية اعتنقت البوذية، والثيوصوفي كأنها المبادئ والمعتقدات البوذية بصورة لا دينية، لا فرق بينهما.

ثم بعد ذلك توالى الكلام عن القوانين الروحية، وقانون الجذب عند شخصيات حركة الفكر الجديد.

ثالثًا: القرن العشرين الميلادي:

هذا القرن -ربما- هو أحد النقليات الكبرى لإشهار القوانين الروحانية، وخاصة (قانون الجذب).

ألف نابليون هيل كتاب (think and grow rich)، وهو من أكثر الكتب مبيعًا على مدى التاريخ، له تعلق وارتباط أو قائم على فكرة قانون الجذب: "فكر، وستصبح ثريًا"، وكذلك (قوة التفكير الإيجابي) لنورمان فنسنت بيل، وهذا أيضًا من أكثر الكتب مبيعًا في التاريخ.

- في عام ١٩٩٤ م نُشر لأول مرة (القوانين الروحانية السبع) لديباك شوبرا، وهذا الكتاب -ربما- هو من أشهرها في المجتمع العربي والإسلامي، إذ تُرجمَ عام ٢٠١٤ م فيما أعلم، ولا أعرف إذا كانت له ترجمة قبل هذا، وقد جمع الكتاب القوانين في إطار واحد.

- في عام ٢٠٠٨ م كان هناك طرح من صلاح الراشد حيث عقد حلقات بعنوان (رسالة من الكون) جمع فيها مجموعة من القوانين الروحانية سماها (القوانين الكونية) مستندًا على كل الكتب التي سبقت، وبالدرجة الأولى كتاب ديانا كوبر (قليل من الضوء على القوانين الروحانية) -كما ذكر ذلك بنفسه-، وهذا الكتاب يقول: "الوحدة هي أن تتقبل ألوهيتك، وأنه ليس ثمة إله واحد وهو الإله، وهو أيضًا أنت"، هكذا نصًا في هذا الكتاب الذي يصرح صلاح الراشد أنه هو الأساس الذي بنيت عليه رسالة من الكون، القوانين الروحانية التي رُوِّج لها في هذه الحلقات.

وهذه نقطة مهمة؛ حتى لا يقال ثمة انفصال ما بين الطرح العربي والذي يطرح في المجتمع الإسلامي وبين الأصول الإلحادية التي نشأت فيها القوانين الروحانية.

هذا عرض مختصر لتاريخ القوانين الكونية، وقد ذكر فيها من جمع القوانين الروحانية، وليس لمن أفرد أحدها؛ لأن الكلام عن قانون الجذب يختلف، وإن كان مضمناً في التصور الإجمالي.

الحلقة الثانية: قانون الجذب: البداية والحقيقة



● نشأة قانون الجذب:

قانون الجذب -في الغالب- لا ينفك عن القوانين الروحانية، بل إنه يعد أب القوانين الروحانية، وربما لو تأملنا في كل واحد من القوانين الروحانية لاستطعنا ربطه بطريقة أو بأخرى بما يُرى في قانون الجذب.

فالتسلسل التاريخي لنشأة القوانين الروحانية هو نفس التسلسل الذي مرّ به قانون الجذب إلا أنه تجدر الإشارة إلى ذكر بعض التفاصيل المتعلقة بقانون الجذب تحديدًا:

- عام ١٨٧٧م تقريبًا:

قانون الجذب كان موجودًا في الفلسفات الشرقية بمفهومه، لكنه لم يصرح به بهذه التسمية المحددة إلا ربما في نهاية القرن التاسع عشر حين ذكرت هيلينا بلافاتسكي (Helena P. Blavatsky) قانون الجذب عَرَضًا، ولم يأخذ موضوع التسمية حيّزًا كبيرًا آنذاك.

واختلف الباحثون في أول من أطلق عليه هذه التسمية، ولا ينبغي على الخلاف كثير عمل، لكن ظهوره تقريبًا كان في القرن التاسع عشر، وتنازع هذا المبدأ: الفكر الجديد (new thought) القائم على قضية الفكر وتأثير الفكر في المادة، وتعود جذوره لفلسفات شرقية واليُوصوف في الذي هو عبارة عن تجميع لكثير من الديانات الباطنية والسرية.

والفلسفة المركزية لكل هذه التيارات الباطنية هي واحدة، وهي: المعتقدات الشرقية: وحدة الوجود، ووحدة الأديان، وتأليه الذات، وتأليه النفس وغير ذلك. فظهوره في هذه الحقبة الزمنية، ثم تبلورت معالمه عند كُتّاب حركة الفكر الجديد.

- عام ١٩٠٠ م تقريبًا:

نُشر الكتابان اللذان يُعدّان اليوم من أكثر الكتب مبيعًا في التاريخ كله، وهما: كتاب نابليون هيل: فكر واصبح ثريًا (think and grow rich) وكتاب نورمان فينسنت بيل: قوة التفكير الإيجابي (The power of positive thinking) وهذه الكتب لا تعني (فكر واعمل) إنما هي مبنية على فلسفة، يتفاوت مدى عمقها الفلسفي، فبعضها يطرح الفكرة بشكل أقرب ما تكون إلى السطحية.

- عام ١٩٨٤ م:

١) نشرت لويز هاي (louise hay) -وهي من المساهمين في انتشار قانون الجذب وصار له اتجاه استشفائي بشكل ظاهر- كتابها: يمكن أن تشفي حياتك؟ (You can heal your life)، وهو مضمّن في القوانين الروحانية لدياك شوبرا الذي نشر في عام ١٩٩٤ م.

٢) نشرت أبراهام هيكس (Abraham hicks) -إستر هكس وزوجها جيرى- كتاب: اسأل تُعط (Ask and it is given)، تنسب إستر هذا الكتاب لأبراهام وتعرّفه بأنه: عبارة عن عائلة من الكائنات اللامادية، التي تتحدث من خلالها؛ فلما تظهر للجمهور تأخذ نفسًا عميقًا، ثم تمثّل أنها غابت عن الوعي، ويتكلم أبراهام الخفيّ على لسانها.

وهذه عادة كثير من الروحانيين، يقولون: «أنا أكتب هذا الكتاب، ولكنه ليس من عندي! -حتى لا ينتقدهم أحد- بل يُملئ علي أو يوحي إلي من قبل روح أو كائن أو غير ذلك».

وتصرح إستر هيس في كتابها هذا وغيره بمعتقداتها الباطني دون تدرج، ولديها بجاجة وجراءة في الطرح، مثل قولها: «الإله أراد أن يجرب التجربة الأرضية ونزل وصار فيك، وأنت جنين»، وأيضًا: «مارس ما شئت من المنكرات والفواحش والقذارات وأنت مبسوط وسعيد...» إلى آخره.

- عام ٢٠٠٥ م:

نشر صلاح الراشد كتابه (قانون الجذب) وهو يعتمد على كتاب إستر (اسأل تعط) كثيرًا ويشير إليه في كتابه هذا كأنه مرجع رئيس، ويشير إلى كتب جيري هيكس -زوج إستر- وهما يكتبان مؤلفات مشتركة.

وصلاح الراشد عندما يروج للممارسات الروحانية في العالم العربي: يُحاول إلصاقها بالدين، فيستشهد بالنصوص ويلوي أعناقها في شيء بعيدٍ عنهما.

وهذه عادة المروجين في المجتمعات الإسلامية التي يغلب عليها عدم تقبلها مصادمة الإسلام بشكل صريح، فيدخلون بالطرق الباطنية؛ كالتأنيس والزرق ونحو ذلك، إلى أن يصلوا إلى المرحلة الأخيرة التي هي السلخ والانسلاخ من العقائد والشرائع الدينية.

وأغلب أطروحات الراشد الصريحة في قانون الجذب تعد قديمة، ولا يعني ذلك أن الفكر يندثر بمجرد أن الشخص تجاوزه إلى فكرة أخرى، فالمنشورات - المكتوبة والصوتية- لا تزال موجودة في المكتبات ووسائل التواصل، وكثير من المروجين أو المنتسبين لهذا الفكر يستندون إلى الشبهات التي ينقلها صلاح أو أحمد عمارة؛ لأنهما يُكثران من طرح الشبهات في هذا الموضوع.

- عام ٢٠٠٦ م:

- حصل في هذا العام نقلة حقيقة في عالم قانون الجذب -إن صح التعبير- عندما ألقت روندا بايرن كتابها (السر)، وصار من أكثر الكتب مبيعًا، وما فتئ قليلًا حتى تُرجم إلى اللغة العربية -للأسف- في عام ٢٠٠٨ م من قبل مكتبة جرير.

- روندا بايرن عندما رأت الأمر تجارة مربحة، أصبحت تفرّج عن هذا الكتاب كتبًا لا يوجد فيها أي فكرة جديدة عن كتاب السر، بل إعادة نشر بطريقة ممجوجة لكنها رابحة للأسف، مثل: السر للأبناء، السر للأمهات، السر للآباء.

- بعد فترة قصيرة جدًا نشرت أوبرا وينفري -المصنفة على أنها من أكثر النساء تأثيرًا على وجه الأرض- الكتاب في حلقات برنامجها، جعلته تحت المجهر فتضاعفت مبيعات الكتاب بشكل غير مسبوق بعد هذه الحلقات.

وأوبرا وينفري ذات انتماء باطني روحاني صريح جدًا، ويظهر ذلك من تحويل برامجها الاجتماعية التي كانت تتبناها سابقًا إلى جانب روحاني صوفي صرف، وإنشائها قنوات لخدمة التيار الروحاني وكتبهم مثل إيكهارت تول وغيره، تنسب ثراءها ونجاحها في الأفلام وغيره للجذب.

وهذه الظاهرة -نسبة الثراء والسعادة للممارسات الروحانية والتحول بعد خلفية سيئة- موجودة عند كثير من كبار رموز الروحانية الحديثة، مثل:

- روندا بايرن نفسها كانت تمر بحالة نفسية معينة -إدمان أو ضياع شديد- ثم بدأت تؤلف هذه الكتب وظهرت للشهرة

- واين داير كان مدمن مخدرات أو خمر ونحوها، وظروف زوجية كان يشتكيها.

- إيكهارت تول كان لديه اكتئاب ويهيم في الشوارع.

إلى غير ذلك من الشواهد التي تدل على وجود اضطرابات سابقة عند هؤلاء، ومن ثم ينسبون تحول حياتهم للسعادة إلى الممارسات الروحانية.

وهذه القصص والخلفيات الحزينة تعطي نوع من الجاذبية لمن يُعاني مثل هذه الشخصيات، يستعملها المروّجين كثيرًا: من ذلك إنشاء الإلام الوثائقية -ونقول وثائقية تجوّرًا- عن شخصيات لها جانب مظلم، وكيف تحوّلت حياتهم من معاناة مع المخدرات والاكتئاب والمشاكل إلى حياة سعيدة رغيدة، وثراء وسعادة من خلال القوانين الروحانية وممارساتها.

وهذا من الخدع النفسية، فلو تصوّر إنسان نفسه في حالة نفسية، عنده ديون أو هموم، ثم رأى مثل هذه القصص والنماذج، وكيف أصبحوا ناجحين وسعيدين؛ لجذبت هذه القصص! ولعل هذا يُجيب على سؤال يتردد في الأذهان كثيرًا: لماذا ينجذب الكثير لمثل هذه الممارسات؟

فالشخص المرتاح الذي ليس لديه تطلّعات كثيرة، ولا يشعر بافتقار شديد؛ لا يبحث عن هذه الحلول، ولا تستهويه هذه النماذج، لكن الشخص الذي لديه مشكلة اجتماعية، أو نفسية، أو زوجية، أو مالية، أو صحية هو الذي يبحث عن حل، ولذلك يُعتبر فريسة سهلة لمثل هؤلاء، وهم يستغلون ذلك.

وفي كثير من الأحيان -للأسف- تُسهم هذه النماذج في تعلّق مَنْ يعانون من مثل هذه الحالات بهذا الانتماء الجديد، وتقبّل ممارساته كاليوغا، أو القوانين الروحانية، أو الاستشفاء بالطاقة وغير ذلك، بل والتعصب الشديد ضد أي أحد يحاول سلب أو انتقاد هذه الممارسات؛ لأنهم شعروا أنهم وجدوا الحل فيها، والحقيقة أنها نوع من المخدّر النفساني -إن صح التعبير-.

ولا يُنكر أن في هذه الأوساط بعض التأثير، لكن هذا التأثير عائد إلى تضمن هذه الأوساط كثيرًا من الاحتواء والانتماء التي يفتقر إليها الكثير من الناس، فمثلاً عندما تشكو واحدة من عدة إشكاليات مع زوجها؛ من ظلم ومعاملة غير حسنة، أو لا تشعر بعاطفة، ثم تذهب لهذه المجتمعات الذين جل كلامهم عن الحب: (نحن نحبك، وأنت الإنسان الكامل الذي ليس فيه عيب) تشعر النفس بنوع من الإشباع.

أو عندما يكون هناك نوع من الإشكاليات مع المجتمع، كأن يكون في الإنسان نوع من الإعاقة الجسدية أو غير ذلك، ويعيش في مجتمع فيه من الجهل الذي ينظر لمثل هؤلاء بنظرة دونية أو إقصائية، فيذهب لمثل هذه المجتمعات فيرفعونه، لهذا أثر نفسي لا ينكر، لكنهم يفسرون وينسبون هذا الشعور إلى الممارسات والقوانين، والحقيقة أنها ليست هي المؤثّرة، المؤثر هو الاحتواء والمجتمع والبيئة.

● انتشار كتاب السر:

كتاب السر له شقين: شق مصوّر (الفلم الوثائقي)، وشق مطبوع (الكتاب)، وكلتا صورتين انتشرت كالنار في الهشيم، ويكاد يكون كتاب السر تُرجم إلى كل لغات الأرض الحية اليوم.

وعلى المستوى المحلي ظهرت حقبة صلاح الراشد المسماة: (قانون الجذب)، وكان له كتاب أيضًا في قانون الجذب بناه بالدرجة الأولى على تعليمات هكس وليس على كتاب السر، إذ كان له تنصل وابتعاد عنه كأنه لم يعجب بطرحه، ويرى أنه أتفه من المستوى الذي هو عليه، مع أنه في طرحه في بعض الحلقات التي تسمى السر الأكبر أو السر الأول يقعد بنفس قواعد كتاب السر: (اطلب، آمن، استقبل).

فكتاب السر هو النقلة وإن كان لصلاح الراشد تأثير في إطار محدد لكن ربما صح قولنا أن كتب صلاح الراشد وإستر وغيرها انتشرت بعد انتشار السر، وأصبح لها وجود وتسويق في المجتمعات الروحانية المتبنية لهذه الأفكار.

والفرق بين هذه الكتب وبين كتاب السر أن كتاب السر انتشر بين شرائح المجتمع المختلفة، بينما هذه الكتب موجّهة لشريحة معينة لها نوع من الاهتمام بالفكر الروحاني.

وانتشاره بهذه الصورة يُثير الغرابة، فهو مع كونه ظاهر الفساد إلا أنه في بعض المواضع يطرح أفكارًا بطريقة مثيرة للسخرية، يستغرب منها الإنسان العادي، فضلًا عن الإنسان الذي ينتقد نقد عقدي فلسفي.

وهذا يدعو إلى أن نقف مع هذه الكتب المنتشرة وقفات، مثل: كتاب هكس، وكتاب الأرض الجديدة، وكتاب قوة الآن؛ لأن هذه الكتب مع كونها في غاية القبح إلا أن القارئ قد لا يدرك ذلك أحيانًا، وكونه غير مدرك لا يعني أنه لا يتأثر؛ لأن بعضهم لا يستعمل أساليب صريحة، فمثلًا روندا بايرن تتدرج في طرحها فلا

تصرّح "أنت إله" كثيراً، لكن تأتي في نهاية الكتاب وتسرّب لك الكلمة كما هو في الطريقة الباطنية المتدرجة، وهذا خطير.

ومن الناس من يقول: "اقرأ في كتاب (السر)، أو في كتاب (اسأل تعط) أو غيره من الكتب، وأنا أعلم كيف أميّز الحق من الباطل"، ويُحتمل أن يظهر له حقاً شيء من الباطل الظاهر، وفي المقابل قد يقبل بعض الأشياء التي يظن أنها حق وهي باطل، لكنه ما استطاع أن يدرك مدى بطلان هذه المبادئ والأفكار، وذلك إما لضعف تصور الفكرة، أو لضعف فهم العقيدة الإسلامية الصحيحة.

● فكرة السر:

فكرة السر قديمة ليست جديدة، حتى روندا بايرن في كتابها وفي المقدمات التسويقية التي نشرتها للكتاب ولل فيلم تذكر أن الفكرة قديمة.

السر هو قانون الجذب، فهو في الحقيقة عقائد قديمة جداً، أُخرجت بصور متعددة، وحتى نفهم هذا القانون لابد أن نتعرف عليه بالأصل الذي بُني عليه؛ لأن قانون الجذب مصطلح، وأحقيّة تفسير المصطلحات وبيان معناها لا تكون إلا لمن وضع هذا المصطلح والبيئة التي بني هذا المصطلح على معتقداتها ومنظوماتها الفكرية والعقدية.

● تعريف قانون الجذب:

أ. هناك من عرّف القانون بتعريف مختصر جداً وهو: أن الشبيه يجذب الشبيه، وهي مقولة فلسفية، تُنسب إلى بوذا، جعلوها قاعدة ثم بنوا عليها القانون، ومعناها: أن الأشياء المتشابهة تتجاذب.

وبطلان هذا التعريف ظاهر حتى من الناحية العلمية والاجتماعية؛ لأنه ليس مُطّرداً، قد تنجذب المتشابهات، وقد تنجذب المتعاكسات تماماً، مثال ذلك: من الناحية العلمية: نجد مثلاً المغناطيس، الطرف الموجب والسالب يتجاذبان، والموجب مع الموجب يتنافران.

وعلى المستوى الاجتماعي: أحياناً نجد أن هناك تكاملاً بين أشخاص مختلفين، لكن يكون بينهم نوع من الانجذاب والتكامل، بل إن هناك مقولة مشهورة: أن المتعاكسات تنجذب، وهذا يظهر أحياناً حتى في العلاقات الزوجية.

ب. صلاح الراشد في حديثه عن قانون الجذب يقول: يُسميه الفلاسفة أبو القوانين، ويعرّفه بتعريف مختصر: أنك تجذب لحياتك ما تشعر فيه وتفكر.

ما تفكر فيه: هذه نقطة مهمة؛ لأن كثيراً من مروجي قانون الجذب لما يقال لهم: أنتم تقولون أن ما يفكر فيه الشخص يجذبه، فيجيبون بأن الناقد لهم بهذا فهمه سطحي، وأن قانون الجذب لا يعني أن يجلس الشخص ويقول: «أنا غني» ويأتيه الغنى، بل المقصود مختلف، وفيه أمور إضافية وآليات.

وعند النظر في الواقع نجدهم لم يضيفوا شيء سوى التركيز والمشاعر، وهذه أشياء باطنية أيضاً، فما الفرق بين أن نقول: مجرد التفكير يجذب إليه ما يريد وبين أن نقول: جانب المشاعر له دور؟

● قانون الجذب عند روندا بايرن:

وضعت روندا بايرن ثلاث خطوات لقانون الجذب -وقد نقلتها عن قبلها- وهي: «اسأل (اطلب)، آمن، استقبل» فهو قائم على فكرة أن الشيء الذي تفكر فيه وتركز عليه ويغلب على مشاعرك هو الشيء الذي سيتحقق لك في حياتك. وسواء سمّوه جذباً أو تجلياً أو خلقاً، هذا باختصار مفهوم ومعنى قانون الجذب.

• أبرز إشكالات قانون الجذب:

- منازعة الرب جل جلاله في أخص الخصائص التي هي الخلق:

- (أ) أذكر حمد عمارة في إحدى المقابلات التي تحدث فيها عن قانون الجذب:
- لما سئل: ما هو قانون الجذب؟ قال: الله سبحانه وتعالى خلق الكون بقوانين. وهذا تلبيس، يجعلها كأنها قوانين قد خلقها الله سبحانه وتعالى في الكون، أو كأنها قوانين طبيعية ماثوثة في مخلوقات الله.
- ثم قال: وهي التي تسمّى في الدين القدر -وهذه مأخوذة من ديباك-، ويقول: الآن هذه القوانين أو الأشياء التي تحدث هذه هي القدر ثم بعد ذلك يجعل هذه القوانين بتصرّفك أنت.
- فيلزم من قوله هذا: أن الإنسان هو الذي يصنع القدر، ونسبة التقدير إلى المخلوق أو الإنسان غير خفي في الطرح الروحاني.
- وهذا بحد ذاته مخالفة صريحة ظاهرة لعقيدة التوحيد، الواجب ألا تغيب عن مسلم، لكنها تُروّج وتُلبّس وتُلطّف وتُخلط بكثير من الشبهات الشرعية والشبهات التجريبية العلمية فتروّج -للأسف- على كثير من الناس.
- ويقول: الذي تستحضره في ذهنك من صور ذهنية ومشاعر تقع وتصبح واقعك، وأيضًا: أنا خالق على الدوام، يعني أن الإنسان يخلق باستمرار بمجرد تفكيره ومشاعره فإنه يخلق على الدوام.
- يقول أحمد عمارة أيضًا: الخلق ليس فقط باليد، بل بالأفكار.
- والله جل جلاله يخلق بالكلمة -كلمة كن- والله سبحانه وتعالى يخلق باليد، وهؤلاء يقولون لا نخلق باليد، بل حتى الكلمة لا نحتاجها، نخلق بمجرد الهاجس والتركيز والمشاعر، ويلزم من قولهم هذا أن يعدوا أنفسهم أنادًا لله سبحانه وتعالى فيما يريدون أن يوجدوا في الكون الذي حولهم.

وينتقد من يعبر عن هذا القانون بأن حقيقته: «أغمض عينيك وسوف يأتيك ما تريده» ويصف هذا الفهم بالسقم، ثم هو عندما يشرح قانون الجذب في ضمن كلامه يقول: ٩٩% منه سعي نفس و ١ % سعي جسد، وهذا حقيقته: خلق بالفكر، فهو يناقض نفسه، لكنه زاد فقط «اشعر» وهي بمعنى: عِش في وهم كأن لديك ما تتمناه.

ولعل هذا المثال مرادهم بالمشاعر: ذكرت إحدى كبار مروجي الفكر الباطني الروحاني أحد الأفلام الذي أثر فيها وغيّر توجهها، تقوم فكرته على امرأة سُخِّصَت بمرض مزمن قاتل وأنها خلال شهر أو شهرين ستموت، فسحبت جميع أموالها من البنك، وصرفت بطريقتة تماثل حياة المرفهين الأثرياء الذين لديهم بذخ في الثراء، وعندما أوشكت أموالها على النفاد، فتحت لها أبواب الرزق فأصبحت ثرية فعلاً لأنها أدخلت نفسها في وهم فأصبح ذلك واقعاً... إلخ

بصورة أبسط كأن أحداً يقول: تريد أن تصبح مليونيراً؟ ادفع كل ما عندك وعش حياة الأغنياء!

لكنها لا تُذكر في كتبهم هكذا بل تُلَطَّف العبارة، وهذا يستعمل في كتاب السرّ وغيره، فنجد في كتاب السر مثلاً تقول روندا بايرن: أنها بحثت عن شريك حياة، فمضت سنوات ولم تجده، فأدركت أن المشكلة في طريقة استقبالها ومشاعرها، فقالت: أنا الآن أعطي رسائل خاطئة للكون؛ الخزانة عندي ممتلئة بالملابس، أين سيضع الشريك ملابسه؟ فوضعت ملابسه في جهة من الخزانة، وجهزت جهة فارغة للشريك المستقبلي، وأصبحت تشعر أنه سيأتي، وفعلت مثل ذلك في موقف السيارة فأصبحت تركز سيارتها جانباً؛ حتى يفهم الكون ويعطيها الشيء الذي شعرت به.

هذا معنى «اشعر» أي عش الوهم الذي تريد أن تجذبه، وعش مشاعر الفرح بالثراء يأتيك، كما ذكرت واحدة من المروجيات تقول: «إذا جذب الثراء، وشعرت بانزعاج فلا تمارسي تمارين الجذب الآن، أجّلها وافعلي شيئاً يُبهجك؛ حتى ترتفع طاقتك ولا ينجذب لك الفقر» والعياذ باللله.

(ب) صلاح الراشد ذكر مرة أنه من باب التأدّب مع الله أننا نقول أنه يُقدّر وكذا، وفي الحقيقة الخالق والصانع هو الإنسان.

فجعلها -والعياذ بالله- نوعًا من المجاملة مع الله، وليس إقرار وعقيدة بأن الله سبحانه وتعالى هو المدبّر هو الصانع هو الخالق جل جلاله.

● قانون الجذب لا صلة له بالشرعية ولا يمكن أن يؤسلم:

يتكون السر من الثلاث خطوات أولاهها: «اطلب» أي من الكون -كما تذكر روندا بايرن-، وهذا المعقد لا يمكن أسلمته أبدًا؛ فلو قيل اطلب من الله -بحسب هذا المعتقد- لصار وصفًا له بالجهالة وعدم الفهم -تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا-.

يحاول صلاح الراشد أن يروج لهذا المعتقد فيقول: أن الإنسان لابد أن يطلب ويؤمن ويستقبل، وعند شرحه كيفية السؤال يذكر أن الدعاء يمكن أن يكون أحد صوره، فالدعاء عنده أحد وسائل الجذب.

وعلى قوله فلا بد من ضبط ألفاظ الدعاء بطريقة تتناسب مع قواعد الجذب، فلا يمكن الالتزام بالأوراد النبوية مثل: «اللهم إني أعوذ بك من الفقر، اللهم إني أعوذ بك من المرض، اللهم إني أعوذ بك من البخل، اللهم إني أعوذ بك من الكفر» لأنها ستفهم بالعكس -تعالى الله عما يقولون-.

ولو كان هذا الأمر صحيحًا لصارت صياغة الأدعية حتى في السنة النبوية مختلفة عما هي في الواقع.

وفي القرآن يقول الله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ فالنفي وارد بكثرة في الأدعية المأثورة، وهي قائمة على الشيء الذي لا تريده، والمشاعر المرتبطة بذلك، فإذا سألنا الله أن يرفع عنا الغلاء، يصاحب ذلك مشاعر خوف من الغلاء والفقر، لكن هذه -بالنسبة لهم- الأصل أنها تجذب الذي لا تريده، فمباشرة سيأتيك الفقر والجوع.

فتبين أن وضع الدعاء كأحد أساليب قانون الجذب إشكالية كبرى، لكنه لا يجعل الدعاء وسيلة الجذب الوحيدة، بل يضيف إليه وسائل أخرى، فيقول: الدعاء ومن الممكن أن تستخدم طرق مختلفة تتوافق مع الفلسفة، يقصد أنها تتوافق مع الفلسفة بشكل أكبر من الدعاء؛ لأنه يرى أن الإنسان سواء كان مؤمناً أو كافرًا، مستيقناً أو غير مستيقن غير مهم، فالدعاء صوري يحصل على نفس نتيجته العبد المفتقر إلى فاطر السماوات والأرض، والعبد الذي يعبد الشجرة مثلاً، فالشجرة تستجيب كما يستجيب الله عز وجل، والكون كذلك.

يقولون: بمجرد ما دعوت بدأ الكون يتحرك ويتشكّل ليعطيك الذي تريد، فغاب هنا مفهوم العقيدة في الله، لكنهم لا يصرحون بذلك؛ لئلا يظهر بطلان قولهم بشكل كبير جداً.

هذا عرض مختصر لتاريخ القانون وأبرز إشكالاته وبإذن الله يأتي تفصيل الإشكاليات الكبرى في هذا القانون.

الحلقة الثالثة:

قانون الجذب: الحقيقة والمآل



Albaydha.

● فلسفة قانون الجذب:

فلسفة قانون الجذب مكونة من ثلاث كلمات وهي: (اطلب، آمن، استقبل) وتفصيلها كما يلي:

● أولًا: «اطلب»:

صيغة كلامية أو مشاعرية توجه لأي مظهر من مظاهر الكون سواء كانت بصيغة دعاء أو بغيرها وسواء كانت توجه لله أو لغيره، ومن أهم الأمور التي يركزون عليها في الطلب:

أ. يقولون: حدد ما تريد بدقة، فلا تقول مثلًا: أنا أريد أن تتحسن حياتي، أنا أريد أن أكون سعيد،... دون تحديد ما تريد بالتفصيل والدقة.

فإذا أردت وظيفة -عندهم- قل مثلًا: أريد أن تكون لي وظيفة في هذا التخصص، في هذا المكان المحدد.

وكانك أنت الذي تسوق الأفضل والأحسن لنفسك وتُفهم شخصًا لا يفهم، وهذا مخالف لآداب الدعاء.

لا شك أن الإنسان إذا أراد أمرًا محددًا على وجه التخصيص لا حرج عليه أن يدعو به، لكن أن يكون كل نوع من الطلب أو الدعاء بهذه الصيغة فهذا غير مشروع.

- هل للدعاء صلة بالجذب؟

الدعاء ليس مرادفًا للجذب، بل حتى مروجي هذا القانون لا يجعلونه مرادفًا للدعاء، بل يرون أن الجذب أوسع، وأن الدعاء قد يكون أحد أساليبه الذي ينتفع به بعض الناس الذين يؤمنون بإله ويؤمنون بفائدة الدعاء، فيستخدمون هذه الوسيلة؛ لأجل تحقيق الجذب وليس العكس.

فإذًا الجذب هو الهدف الرئيس ومن خلال الدعاء يتوصل الإنسان للجذب. وهذا مسلك خطير أن يظن العبد أن دعاءه هو الذي جذب، كأنه يقر أنه هو الفاعل أو الخالق لذلك.

فالدعاء ليس له أدنى صلة بال جذب سواء عدوه أحد وسائله أو مرادفًا له.

ولو سَلَّم -جدلاً- أن للدعاء صلة بأساليب الجذب، ونظرنا في الطريقة المشروعة في الدعاء وأساليب النبي ﷺ في الدعاء لوجدنا أنها مختلفة تمامًا عن الشيء الذي يريدونه -تحديد الطلب على وجه التفصيل- فإن النبي ﷺ أوتي جوامع الكلم، أي العبارات المختصرة التي تحمل معاني كثيرة، ومن الأدعية الماثورة المشهورة : ﴿ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار﴾ فحسنة الدنيا تشمل الوظيفة والزواج والبيت والسيارة، فلم تحدد شيئاً مخصوصاً، وكذلك الحسنة في الآخرة، فالدعاء شامل والله -جل جلاله- الكريم سبحانه جزل العطايا.

فالدعاء في الشريعة الإسلامية ليس بهذه الصورة التي يتكلمون عنها، بل المشروع أن يكون الدعاء بالكلمات الجوامع التي فيها توكل على الله سبحانه وتعالى وحسن ظنٍ حقيقي بالرب سبحانه وتعالى؛ لأن الإنسان أقل قدرة على إدراك ما الذي يحتاجه والله يعطي بلا حد سبحانه.

ب. يقولون: أنت حدد ما تريده لا ما لا تريده.

وعلى هذه القاعدة لا يمكن عد الدعاء صورة من صور الجذب؛ لأن في نصوص الشريعة ترد أدعية كثيرة في الاستعاذة والنفى، كما يقول الله سبحانه: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا﴾ ويقول النبي ﷺ: ((تعوذوا بالله من جهد البلاء ودرك الشقاء، وسوء القضاء وشماتة الأعداء)) فبناءً على قاعدتهم التي يذكرونها يكون تكرار مثل هذي المعاني السلبية -إن صح التعبير- يجذبها لنا لا يدفعها عنا. ومع ذلك فإن الشريعة في كثير من الأحيان قائمة على هذه المسألة في الدعاء، أمرنا بالاستعاذة من أمور كثيرة.

ج. يستخدمون الجذب -أحياناً- على طريقة تشبه الاستشارة: يقولون إذا صار عندك إشكالية وترددت بين مسألتين، فيمكن أن تستخدم الجذب -في مثل هذا الحال- بأن ترسل رسالة للكون كأن تقول أتمنى أن يتضح له الاختبار الصواب في هذه المسألة، ومن ثم يفسرون الذي يحدث بناء على هذا السؤال الذي طُرح في الكون: أن الكون يبدأ بإعادة تشكيل نفسه بحيث يقرب لك الشيء الذي يحسن لك اختياره، ويبعد عنك الشيء الذي لا يحسن لك اختياره، و يرسل لك أحياناً إشارات مبطنة كاتصال، أو مشاهدة كلمة في التلفاز أو مجلة أو أي شيء يشير إلى ما الذي ينبغي لك أن تختاره. فهي هنا لا شك أنها أصبحت بدائل للطرق الشرعية في الاستشارة والدعاء ونحو ذلك.

ومهما تنوعت طريقة الطلب -عندهم- فإنه سيكون معتمداً -في الغالب- على مسألة التوكيدات، فيقولون مثلاً: أنا ناجح، أنا موظف في شركة كذا، حيث تذكر هذه العبارات بأسلوب الحاضر المستيقن أو توضع صورة تمثل المطلوب، أو غير ذلك.

وقد لا يدرك كثير من الناس الأبعاد الفلسفية والعقدية المخالفة في مثل هذه المعتقدات والممارسات، لكن لما ينظر في التطبيق نفسه ينفر الناس منه من ناحية عقلية.

● ثانيًا: «آمن»:

والمقصود بها نوع من اليقين بعمل القانون، تكون للإنسان قناعة حين يردد التوكيدات أنه فعلاً سيحقق الذي يرجوه.

وليس هذا هو معنى اليقين الشرعي عند الدعاء، دعاء العبد وهو مستيقن بالله مختلف تمامًا؛ لأن هذا القانون ليس قائماً على الإيمان بالله، بل إن كبار الذي يروجون لقانون الجذب -ومنهم صلاح الراشد وغيره- يقولون أن الجذب ينفع المؤمن بالله والكافر، ومن ثم فالشخص ويطلب هو ليس بالضرورة يطلب من الله.

ولو زعموا أنه يقين بالله لكان هذا اليقين صورياً؛ لأنهم يجعلون هذا الإيمان واليقين غير مرتبط بقاعدة عقدية وإنما مرتبط بقانون كوني فلسفي، بدليل أن الشخص -إن كان عارفاً بقانون الجذب- فسيقول لك ليس بالضرورة أن تكون مؤمناً بالله، وإنما بالإمكان أن تكون مؤمن بأي شيء، لأن الذي يجذب لك هو هذا اليقين نفسه -سواء كان يقيناً بوسيلة أو كلمة أو إله أو غير ذلك- وليس الذي توقن به.

فاليقين الذي يقصدون يختلف عن الإيمان بالله سبحانه وتعالى إذ لو كان يقيناً بالله لما نفع الشخص الذي يطلب من غيره!

يشبهون يقين الإنسان بعدما يرسل الرسائل للكون بيقين الشخص الذي يطلب الطعام من النادل في المطعم وينتظر تطلبه، فحصله عليه مسألة وقت.

وإذا انتقد أحد هذا القانون بأنه مرتبط بالأفكار فقط فما تفكر فيه تحصل عليه، قيل له أنت لا تفهم هذا القانون، فهو لا يتعلق بالأفكار المجردة فقط، بل هناك أمور أخرى كالمشاعر، والحقيقة أن المشاعر لا تضيف أي مفهوم إضافي يزيل الإشكال عن مسألة الجذب.

ومما يحفز المشاعر عندهم: الإكثار من التخیل، والعيش في وهم، فإذا أردت مثلاً سيارة من نوع معين تصور نفسك دائماً تقودها.

• مسألة الاستحقاق:

وهذه المسألة فارق كبير بين المنطلق العقدي الشرعي في الدعاء، وبين الجذب، فلما يأتي من يقول أن الدعاء وسيلة من وسائل الجذب ثم يقول: لابد أن تشعر أنك تستحق هذا الشيء الذي تريده، فإذا أردت منزلاً أو مالاً أو غير ذلك، وترسل طلبك للكون، لابد أن تشعر -بناءً على معتقدهم الفلسفي- أنك تستحق وأنت مؤهل لهذا الطلب الذي أردته.

في المقابل نحن في الدعاء إذا سألنا الله سبحانه وتعالى، من هذا الذي لا يستحي فيرفع يديه لله سبحانه وتعالى ويقول له أنا أستحق هذا الرزق، بل

الإنسان يعلم أن الله سبحانه وتعالى متفضلٌ عليه، ولو لم يعط الله الإنسان إلا هاتين العينين لما استطاع الإنسان شكرها، فكل هذه النعم زائدة عما يستحقه الإنسان.

فلا يمكن أن يقال أن هذا القانون الفلسفي بما فيه من هذه التفاصيل هو مرادف ولا أنه نظير للدعاء.

الدعاء فيه نوع من الافتقار والتذلل لله ثم الرضا بما قسمه الله سبحانه وتعالى سواءً تحقق ما أريد أو لم يتحقق، هذا كله يحدث نوع من التوازن والطمأنينة والهدوء النفسي لأن الإنسان إذا دعا ولم يتحقق له، علم أن الله صرف عنه مطلوبه لحكمة، فهو إما أن يستجاب له، أو يصرف عنه من الشر مثله أو يدخر له في الآخرة.

أما في هذا القانون الفلسفي إذا لم يتحقق للإنسان مطلوبه يعود اللوم عليه بأن المشكلة منه كونه لم يحسن تطبيقه، فيستمر معه الإنسان في الاضطراب ولوم نفسه وعدم التوازن في سبيل تحقيق هذه الأمنيات الوهمية التي لن تتحقق إلا بقدرة الله وإرادته وما كُتِبَ لك من الرزق، والجري خلف الدنيا وخلف النتائج المترتبة على الجذب.

● ثالثاً «استقبل»:

وهو أن يكون الإنسان منهمك في المشاعر ومستعد له، بمعنى أن يشعر وكأنه قد حَصَلَ هذا الأمر، ثم إذا أتاه يتقبل ويفسح له مجال لحضور في حياته، وذكرت ربما في الحلقة الماضية أنه لما قالت "روندا بايرن" في كتابها: أزيحي المنطقة حتى يأتي زوج المستقبل.

القانون إذاً في الأصل لا يتضمن جزء العمل فإن خطواته الثلاث: (اطلب، آمن، استقبل) فلا يذكر هنا العمل.

والناس في العمل بهذا القانون على ثلاثة مواقف:

(١) الفريق الأول: الذي يقول: "قانون الجذب إنما هو عبارة عن أهداف معينة أنا أضعها؛ لأجل أن تذكرني بهدف أريد أن يتحقق" فيعد القانون دافعاً له كأن يضع صورة بيت وكلما أراد صرف ماله قال لا يجب أن أصرف الآن، سأدخر لأشتري هذا البيت.

ولا يوجد سر ولا جذب في هذا، كل إنسان يفعل ذلك لا يوجد فيه شيء جديد، ولا يوجد فيه جذب حتى، مجرد أن الإنسان يخطط ويضع له هدف ثم يعمل لأجل التوصل إلى هذا الهدف، إن سميت قانون الجذب فأنت تجهل مفهوم قانون الجذب، ولا يمكن استعمال مصطلح الجذب هنا -وإن كان المعنى صحيحاً-؛ لأن هذا الاصطلاح مثقل بالخلفية العقدية، فليس مشتركاً لفظياً ولا كلمة لغوية لا تعني شيئاً.

ومن ثمّ إذاً فالذين يقفون هذا الموقف هذا يقال لهم ما تسمونه قانون الجذب، ليس حقيقةً قانون الجذب، ومن يقحم هذه الفلسفات هو ينسب شيء إلى الكون، ويكفر بنعمة الله عز وجل، ويقحم فلسفة بديلة لا حاجة له فيها!

كمن يأخذ دواء الإنسولين للسكر ثم يردد ترانيم معينة أو يلبس قبعة صفراء، ثم لما ينضب عنه السكر قال نعم السبب القبعة الصفراء. ولو افترضنا أنه لم يدخل الجانب الفلسفي، واعتمد على قضية العمل والتوكل على الله سبحانه وتعالى وفعل الأسباب فلا يحق له أن يسميه قانون الجذب.

(٢) الفريق الثاني: يدخلون العمل صورياً:

وهذا أسلوب أغلب الممارسين العرب، استعمال أسلوب التعمية، فيقولون: من قال أن قانون الجذب ليس فيه عمل؟ وعند التأمل في العمل الذي يزعمون في مثل هذه الممارسات سنجد أنه عمل في الحقيقة صوري مثل الترنيمات التي يرددونها، أو كتابة التوكيدات مثلاً ٢١ مرة، فالعمل عندهم هو تنفيذ هذه الآلية التي قام عليها الجذب من (اطلب، آمن، استقبل).

وبعضهم يقول العمل هو عبارة عن التحرك اليسير لاستقبال هذا الفعل، فمثلاً لو أردت أن تجذب لنفسك وظيفة، وعملت التمارين كلها، ثم وردك اتصال من خالك مثلاً وقال شرحت لأحدهم ما تريد، ويريد أن تحضر لأجل مقابلة العمل، إذا ذهبت لهذه المقابلة فهذا هو العمل.

فعندهم ليس العمل هو الذي جلب لك الوظيفة، وإنما الجذب والتمارين التي أنت فعلتها؛ وهم يلجؤون لمثل هذا؛ لأنه من غير المنطقي أصلاً ألا يسعى الإنسان ويعمل لإيجاد الوظيفة، لن يرسل لك أحد عقد التوظيف وأنت في المنزل لم تقدم أو تتكلم، وهم يجعلون هذه المبادرة نوع من الاستقبال. فيكون الأمر -عندهم- بدلاً من أن أقول هذا رزق ساقه الله إلي، أقول أنا جذبتهم، يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها.

٣) الفريق الثالث -وهو الأصل في الجذب-: الذين يجعلون العمل ليس جزءاً من الجذب إطلاقاً، ولا يذكرون العمل، من ذلك ما تذكره إستر هكس: أنك لم تأت لهذا الوجود لأجل أن تخلق من خلال العمل، هكذا تصرح، ومفهوم الكلام أنك تخلق دون أن يكون ثمة عمل، تخلق بمشاعر، تخلق بأفكار، تخلق بتخيلات.

الخلاصة:

من قال أن قانون الجذب فيه (العمل)، نقول له ماذا تقصد بالعمل؟ - إذا قال العمل يعني أن أذهب وأفعل وأبذل السبب وأسعى. يقال له هذا ليس جذباً، كل إنسان يفعل ذلك، والفلسفة الإضافية تخلص منها فإنما هي معتقدات تصادم عقيدتك الصحيحة، وليس لها أثر حقيقي.

- إن قال أن العمل هو مجرد القطف والاستعداد. نقول له هذا لا يسمى عملاً، بل مجرد تعميم، أن تأخذ النتيجة التي توصلت إليك ليس عملاً.

- إن قال لا، لا يوجد عمل. حينئذ تظهر الفكرة على حقيقتها.

• إشكالات قانون الجذب:

الإشكال الأول هو: الفلسفة التي بنيت أو بُنيَ عليها قانون الجذب.
 الإشكال الثاني: المنازعة لخصائص الربوبية، أو بعض خصائص الربوبية.
 الإشكال الثالث وربما يكون من أهمها وأكثرها سعة: المخالفة في باب القدر والعقيدة في القدر ولذلك هم أصلاً يسمونه جذب القدر أحياناً.

الحلقة الرابعة:

قانون الجذب والإيمان بالله تعالى

الحلقة



Albaydha

• الإشكال الأول في قانون الجذب: الفلسفة التي بني عليها قانون الجذب.

وقفات يسيرة قبل ذكر الفلسفة:

عند النظر في النصوص الهندوسية ككتاب الفيدات -مثلًا- نجدها مقسمة إلى ترانيم، منها ترنيمة اسمها "شرير أودره".

وهي أشبه ما تكون بتوكيدات الجذب، وما يتضمنه، من ضمن هذه الترانيم: (معي غسل، ومعني سمن، ومعني ذهب، ومعني جواهر، ومعني الصحة) كأنها توكيدات: (أنا صحيح، أنا ناجح، أنا فاعل، أنا كذا، أنا قوي، أنا موظف في شركة، أنا إلى آخره...) فالأصول في مسألة التوكيدات من الناحية الدينية موجودة في النصوص الشرقية.

ومع أن القانون لم يتشكل إلا في القرن التاسع عشر تقريبًا إلا أن الأصول العقدية التي ارتكز عليها القانون موجودة من آلاف السنين في "الأوبانيشاد". الفيدات هي أقرب ما تكون إلى الرمزية والترانيم وما شابه والقصص، أما الأوبانيشاد فهي نصوص شروح باطنية فلسفية ملحقه بالفيدات. يتضمن الأوبانيشاد أن أفكار الإنسان، وما يفكر فيه، وما يتخيله، أنه يحصل له، أو أنها تتحول إلى واقعه.

وهذا وإن لم يكن نصًا في الأوبانيشاد، إلا أن هذا المعنى مكرّرًا في ثنايا هذه الملحقات.

-ينسب إلى بوذا قوله: "كل ما نحن عليه هو نتيجة تفكيرنا، وأساسه مبني على تفكيرنا، كما أن قوامه هو تفكيرنا" هكذا، يقصد أن الأفكار تخلق وتشكل الواقع، فهذا يشبه الجذب، ومعنى قوله هذا: أن الأفكار هي بذاتها فاعلة ومؤثرة، وخالقة للظروف، والواقع، ونحو ذلك.

- "لاو تزو" في "التاوتي تشينغ"، يقول: "الحكيم يعرف دون أن يسافر، يرى دون أن يحدّق، ينجز كل شيء دون أن يفعل".

وقضية اللا عمل من أصول الطاوية كذلك، ولها أتباع في التيار الروحاني، حتى إن أحد المهتمين بالفلسفة الروحانية المتأثرين بالفلسفة الطاوية كان يذكر أنه حتى الجذب لا يريد استخدامه؛ لأنه يعد الجذب عملاً.

فعندهم مبالغة وغلو في مسألة اللا عمل، يريدون حتى ألا ترغب. هذه بعض الإشارات إلى ما يشبه هذا القانون في النصوص الشرقية القديمة.

● الصورة الحقيقية لقانون الجذب:

الصورة لقانون الجذب إنما جاءت في التيارات الروحانية الباطنية الغربية المتولدة عن الفلسفة الشرقية.

وأكبر تيار تَبَلُّور –إن صح التعبير– فيه قانون الجذب هو حركة الفكر الجديد، بل كلمة الفكر الجديد مرتبطة بقضية الفكر وكون الفكر مؤثراً في الواقع. ولا يراد بالفكر هنا ما يحفز للعمل والهدف، بل المقصود الفكر المجرد، مجرد مشاعر أو أفكار هي التي تؤثر في الظروف، وفي الأقدار، وفي الظروف المحيطة.

وهذه الأمور قد لا يدركها الناس الذين يطبقون القانون، فإن كثيراً ممن يؤمن به لا يعرفون تاريخه، ولا يعرفون ارتباطه بالديانات الشرقية، وربما لا يعرفون الفلسفة المبطنة في هذا القانون، وهذا لا يجعل الإنسان معذوراً، ولا يصح هذا العمل أو هذه الفلسفة، لكن قد يقال إنه يجهل، ومن ثمّ فالجاهل يختلف عن الشخص العالم المدرك.

ولا يعذر الإنسان أنه يروج لأفكار وهو لا يعلم حقيقتها، ولا يعذر الإنسان في دفاعه عن فكرة لا يعلم حقيقتها، فهذه مشكلة كبرى، فإن الله سبحانه وتعالى

يقول: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾، ولدينا قاعدة شرعية تقول: "الحكم على الشيء فرع عن تصوره"، فلا يمكن للإنسان -والمفترض له- ألا يحكم على الشيء مهما كان عنده من الباع الواسع في العلم الشرعي وهو لم يتصور حقيقة هذه الممارسة وأصولها، ومآلاتها، وغير ذلك مما يرتبط بها.

• مقومات التي قامت عليها حركة الفكر الجديد:

حركة الفكر الجديد هي إحدى التيارات الباطنية التي شكَّلت الفلسفة الشرقية بطريقة مستحدثة، لم تأتِ بجديد.

(١) المقوم الأول لحركة الفكر الجديد: أن الإله - أحيانا يعبرون عنه بالذكاء المطلق وأحيانا يعبرون عنه بمصطلح الإله تجوزاً أو الذكاء المطلق- موجود في كل مكان، حالاً في كل شيء.

وهذا منطلق عقدي، فهذا التيار ليس فكرياً ولا ثقافياً بل تيار عقدي باطني في الحقيقة.

فهم الآن ينفون وجود إله مباين للكون، ولو أقرّوا بوجود إله -تجوزاً- فإن هذا الإله حالٌّ في كل شيء، ولا يصفونه بصفات الخلق، وليس له وجود أصلاً.

(٢) المقوم الثاني: أن الروح هي الحقيقة المطلقة.

وهذا جزء من عقيدة وحدة الوجود، فلما يقال: "كل شيء هو وجود واحد"، وما هو جوهر هذا الوجود التي تكون الأشياء الأخرى عبارة عن مظاهر له؟ لا بدّ من تحديد شيء معين، هنا يسمون هذا الوجود المطلق: الروح.

وسنجد أنه مرادف للوعي، مرادف للذكاء المطلق الذي قبل قليل، مرادف للإله، فالروح إذاً هي الإله.

(٣) المقوم الثالث: أن الحقيقة البشرية هي حقيقة إلهية.

فالعقيدة متدرجة: الوجود كله شيء واحد، الحقيقة هي الروح، وأن الإنسان في حقيقته إله.

- كما تقول إستر هيكس: "أنت إله نزلت تجرب التجربة الأرضية".

ويقولها كل من يتبنى الفكر الروحاني على أصوله، سواء سموه شرارة إلهية، أو إله، أو جنين -يسمونه أحياناً جنين إلهي-، أو وعياً، أو روحاً، ويطبقه على النصوص الشرعية، ثم يقول هي روح غير مخلوقة أو هي الإله نفسه. وهذه المقومات الثلاثة هي القاعدة العقدية، ثم يبدؤون في الجانب العملي، كي يستفيدوا منها:

٤) المقوم الرابع: أن جميع الأمراض مصدرها ذهني أو عقلي أو فكري. أي أن الأمراض كلها عبارة عن نتيجة عقلية فقط، يعني كأنهم يقولون وهم عقلي!

وهذا محل نقد واسع في الأوساط الطبية الغربية؛ لأن مثل هذا الطرح إجرامي! لما يأتي ويقول لك أن الأمراض كلها ذهنية، فيأتي للمرضى ويقول: أي مرض عندك اترك جميع العلاجات الحسية وتجاهلها، وعالجها بطريقة تعديل أفكارك، والمرض يستشري في جسده حتى يقضي عليه.

وهذا لا يقال في الدعاء، ولا بالاتصال برب العالمين -جل جلاله الذي يملك كل شيء بيده سبحانه-، لا يقال: دع الأسباب واتركها، بل قد يحرم في بعض الأحيان ترك الأسباب! ويسمى التواكل، نحن في الإسلام مأمورون بفعل السبب والتوكل على الله سبحانه وتعالى.

٥) المقوم الخامس: أن تعديل التفكير، أو التفكير الإيجابي يؤثر في الصحة أو يعدل، أو له أثر شفائي.

وهنا نشأ مسألة الجذب، بدءًا من الفلسفة التي هي القاعدة، ثم التطبيق، وهم يركزون على هذه القضية.

فقانون الجذب بدأ في جانب الاستشفاء ثم سلك مسلك الثراء. و مترجمو المعتقدات الشرقية أظهروا هذه المقومات على أرض الواقع وجعلوا لها تطبيقًا عمليًا، وهو متمثل في قانون الجذب.

• ما علاقة قانون الجذب بعقيدة وحدة الوجود؟ وما الطريقة العملية التي من خلالها استطاعوا أن يولدوا قانون الجذب من هذه العقيدة؟

مدرسة الفيديانتا الهندوسية -إحدى المدارس الإلهادية الهندوسية، وهي المدرسة الأكثر تأثيرًا في الروحانية الغربية- هي مدرسة مثالية بالدرجة الأولى، لا ترى أن الواقع الخارجي له وجود، وإنما تجعله وهمًا، فالشيء الذي في الخارج ونراه، ليس له وجود حقيقي مادي.

يتبنى هذه المدرسة ديباك شوبرا، وهو الذي ألف كتاب قوانين السبعة للنجاح، وما هي إلا ترجمة لعقيدة الفيديانتا.

وكذلك سوامي فيكاناندا -الذي نقل اليوجا ونقل الفلسفة الشرقية إلى العالم الغربي- أيضًا متبني للفيديانتا.

في الفيديانتا: العالم الخارجي ليس إلا ليس إلا وهمًا، وهذه الأشياء التي تشاهدها ليست حقيقية، ليست إلا مجرد انعكاسات للحقيقة، ويعطيها صلاح الراشد مثالًا يقول: إذا كنت واقفًا أمام المرأة فتقوم بتحريك يدك، المرأة التي أمامك تتحرك، وإذا التفتت التفتت، وإذا جلست جلست. وهي في الحقيقة ليست إنسانًا ثانيًا، بل انعكاس للصورة الحقيقية أو الجسد الحقيقي الذي يقوم بعمل الحركات هذه في الواقع.

فيقول هؤلاء الهندوس والروحانيون أن الفكرة أيضًا توجد وجودًا حقيقيًا هو الذي يشكل الواقع، والخارج ليس إلا انعكاس كما يوجد في المرآة.

وما هو هذا الذي يصنع هذا الوجود؟

الوجود المطلق، ويسمونه الحقيقة.

ما هي الحقيقة؟

الوعي.

وما هو الوعي؟

الوعي هو وعيك الخاص الذي بالإمكان أن يرتبط بالوعي المطلق والعام، والذي يسمونه الإله.

- تبسيط للفكرة:

يقولون: الوجود الحقيقي -الذي يكون الوجود الخارجي انعكاس له- هو وجود واحد.

ما هو هذا الوجود الواحد؟

يسمونه الوعي، فبحسب الوعي الذي عندي، وبحسب الأفكار هذه، تتشكل وتنعكس في الخارج.

هذا الوعي ليس هو العقل الواعي! بل هو أشبه ما يكون بالمر إلى الوعي المطلق، والوعي المطلق هو مرادف عندهم للإله.

وقد يعبر عن الوعي "بالروح"، يقول أحد المروجين لهذا الفكر: "أنت بواسطة روحك تنفتح على عالم الوعي، على عالم النور الأبدي".

فالمقصود أن "الوجود المطلق" أو "الإله" هو شيء في داخلك أنت، بحسب ما تشكله وتغيره، تخلق في الواقع.

ومعنى ذلك أنك إذا رأيت مصائب ومشاكل، فهذا انعكاس لما أفكر فيه، فبدلاً من أقول لماذا هذه الإشكالات التي تحصل لي؟ أقوم بكل سهولة -على حسب ما يعتقدون- بتغيير طريقة تفكيري، والزاوية المنفتحة على الوعي المطلق من خلال نفسي، فأستطيع أن أغير الواقع الذي في الخارج. معنى ذلك أنه يوجد خلق حقيقي، وإيجاد حقيقي في اعتقادهم، يعتقدون بوجود خالق لهذا الكون الخارجي، وهذا الخالق هو أنت، مضمّن في ذاتك، ليس له وجود منفصل.

فالإشكالية ليست فقط الاعتقاد بوحدة الوجود، وإنما الإشكالية المرتبطة بالاعتقاد بوحدة الوجود هي: تأليه الذات؛ لذلك كل الرؤوس الحقيقيين للجدب مثل: ديباك تشوبرا، وإستر هكس، وروندا بايرن، وديانا كوبر... يقولون بأن الإنسان هو الإله بدون حياة، ويصرّحون بها في كتبهم: - إستر هكس في كتابه (الدوامة)، تقول: "أنت إله قرر أن يخوض التجربة الأرضية"، "أنت خالق، أنت تخلق، لا تظن أنك لا تخلق، أنت تخلق حقيقة". - وين داير يقول: "أنت تخلق خلقاً حقيقاً لا تستحي..."، وفي كتابه (تحقيق الأمنيات) يقول: "لا تستحي من هذه الكلمة وإن كنت تصادم بها المجتمع، قل أنا إله" هكذا.

فهذه الركيزة التي بُني عليها الجذب "أنت أنت الإله الخالق".

ويلحظ التطابق الشديد بين المتصوفة الفلاسفة المنتسبين للإسلام، وبين الروحانية الحديثة في الإطار الإسلامي، فكل الاتجاهين يعتقدان بعقيدة وحدة الوجود، وكلاهما يعتقدان بنوع من تأليه النفس.

الصوفية الغلاة يعتقدون بقضية عقيدة الحلول، وعقيدة وحدة الوجود هي عقيدة أشد حتى من الحلولية والاتحادية، فهي مقاربة للعقيدتين.

لكن مما يلفت الانتباه أن الصوفية المتقدمين غلب عليهم قضية الاعتقاد بالجبر من الناحية القدرية، فهم يعتقدون بأن الإنسان والإله واحد، فالمتصرف هو الإله، والإنسان كالريشة في مهب الريح، فالذي يحصل له، والذي يفعله، ممكن يعصي، ممكن يشرب الخمر، وممكن يترك التكاليف، كل هذا بإرادة الإله الذي يفعل ليس أنا.

الروحانية الحديثة عكستها، ولم تجعلها حتى بهذه الطريقة الصورية القبيحة عند الصوفية.

فيقولون الإنسان والإله واحد، لكن المتصرف والمتحكم ليس هذا الإله الغامض الذي لا يدري الإنسان أين هو، وإنما هو أنت! فصاروا قدرية لا يعتقدون بالجبر، وإنما يعتقدون أن الإنسان يخلق كل شيء بنفسه وهو المتصرف والمدير للكون.

الخلاصة: عقيدة الجذب لم تنبت من فراغ، إنما بُنيت على هذا الاعتقاد.

هل يعتقد كل من يمارسها بهذا الاعتقاد أو لا؟

الحقيقة والواقع أنه ليس كل من مارس الجذب أو كل من روج له يعلم بهذا الاعتقاد أو يعتقد، لكن هذا لا يعني أنه ليس هو أصله، ولا يعني أنه معذور بنشره لهذه المعتقدات وتمريرها وترويجها بين الناس دون أن يكون لديه هذا الاطلاع، ولا محاولة الأسلمة أو التقريب.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- لما كان يتكلم عن قضية المشابهة ونحوها: "أما إذا كان جاهلاً فإنه يُعَلَّم، فإن عُلِّم وأصر عاد إلى الأقسام الأولى في حكمه"، فنفس الشيء بالنسبة لهؤلاء، من يروج للجذب يقال له: هذا الجذب ما جاء من فراغ.

فلما يقولون لك أنت ترسل الذبذبات في الكون، لماذا إذا أرسلتها تأتيني؟ ما التفسير الحقيقي؟ لأن الكون ليس إلا انعكاس لما في ذهني؛ لأن الموجد الحقيقي للكون عندهم إنما هو الوعي الذي في رأسي، أو في قلبي، أو في نفسي، والمنفتح أو المتصل على وعي كلي، أو يقولون لك هو روح، وهذه إشكالية أيضا الأسلمة! والنتيجة التي تحصد من مثل هذا النوع من التلبيس بالإضافة إلى الفلسفات المنحرفة: بدع جديدة في الشريعة وإشكالات كثيرة يقع فيها الإنسان من خلال مثل هذه الممارسة.

ولا نحتاج لبيان بطلان هذا المعتقد -قانون الجذب- إلى بيان إشكالات أخرى، فإن مجرد معرفة أنه مبني على فلسفة إلحادية كفرية وهي عقيدة وحدة الوجود؛ كافٍ.

بل حتى اليهود والنصارى لا يقبلون مثل هذه المعتقدات ويكفرون قائلها، فلا يقبل قول إنسان يقول "الإله حال في كل شيء، في الحجر، والشجر، وكل شيء...."، كما يذكر لادو تسو فيقول: "أبحث عنه لا أدري أين هو؟ هل هو في الحشائش أو في العذرة؟" -أعزكم الله-.

● الإشكال الثاني في قانون الجذب: منازعة الرب في خصائصه سبحانه وتعالى،

التي نستطيع أن نلخصها في: الخلق والملك والتدبير.

لما نقرأ في كتب الجذب أو نستمع للغربيين والشرقيين نجد أنهم ليس لديهم تورع في استعمال كلمة: "أنت تخلق، وأنت الخالق، وأنت الفاعل، وأنت المدبر، وأنت الرب".

- إستر هكس تقول: "أنت الخالق القوي من خلال قوة فكرك".

الإشكالية أنه حتى الذين قد حاولوا أسلمة قانون الجذب يستخدمون هذا اللفظ ولا يتورعون ويستدلون عليه، فيكثرون من مسألة: "أنت الخالق، أنت تخلق قدرك، أنت تخلق ما حولك، أنت تخلق واقعك، أنت تخلق فعلك، أنت تخلق كذا"، حتى تُطَبَّع هذه الكلمة ولا يأنف الإنسان من أنه يذكرها في حق الإنسان، وربما وجدوا لها مخارج في مسألة جواز وصف الإنسان بنوع من الخلق، ويوردون له بعض الشبهات أو الاستدلالات.

فمثلاً لما يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ قد يشكل هذا فيقول: "إذاً يثبت نوع من الخلق للإنسان، أو نوع من الخلق للمخلوقات، بما أن الآية قالت الخالقين، أو أحسن الخالقين معناته في تعدد الخالقين"، وهذا تكلم فيه العلماء، في مسألة الخلق ونسبة الخلق للعبد، بأن الخلق على نوعين: الأول: الخلق الذي هو الإيجاد من العدم، وهو مفهوم الخلق عند الإطلاق، والمتبادر إلى ذهن، خاصة في الزمن الحديث.

وثمة معنى آخر للخلق: وهو الصناعة، بمعنى أنه يعني يجمع، يصح استخدامها في بعض المواضع.

في السياقات الروحانية لا يقصدون أبداً بالخلق صنع شيء بعينه، بل يريدون بذلك معنيين:

أ. يريدون بالخلق الذي هو تعبير عن الملك والتدبير والتصريف، فهم يقولون أنت تخلق وهم في الواقع يريدون: تُدَبِّرُ وتُصَرِّفُ فتَخْلُقُ.

وهذه هي الربوبية التي هي الأصل مفطور الإنسان على الإقرار بها، حتى قريش في الجاهلية عندهم إقرار بالجملة على الأقل في مسألة الربوبية، لكن هؤلاء مع الأسف أصبح عندهم خلل في قضية الربوبية، والخلل في قضية الربوبية مخالف للفطرة.

تقول ديانا كوبر في كتاب السر: "المقصود بالسر أننا الخالقون لكوننا" الخالق للكون هذا لا يمكن أن يقال أن المقصود به الخلق الذي يصح نسبته للعبد، فهي تقول: "المقصود بالسر أننا الخالقون لكوننا، وأن كل أمنية نريد أن نخلقها ستتجلى في حياتنا". هذه كن فيكون!

تقول: "نحن الخالقون ليس لقدرنا فحسب، بل لقدر الكون" يعني لكل ما يحصل في الكون، ينزل المطر، يأتي زلزال ... إلخ

ب. يريدون بالخلق ما يسمى بالتجلي، أي نوع من التحرك الكوني الذي يوجد - وإن كان هذا ممكن يكون إخراج من العدم- فمثلاً: السيارة على سبيل المثال موجودة في العالم غير المرئي، وهذا العالم غير المرئي قد يقال أنه العدم؛ لأنه ليس بموجود الآن، ثم بعد ذلك لما ترسل الذبذبات أو غيرها، يأتي بها لك. فعندهم الفكرة هي ذبذبة تخرج هذه الفكرة، ثم كأنها تتكشف، فتنحدر إلى مادة، وهذا إيجاد من العدم.

تقول ديانا كوبر: "اتبع القوانين الروحانية وستخلق بذلك جنتك، عندما تتبع القوانين الروحانية تتمكن من الوصول إلى الإشراق نصبح سادة -يعني مدبرين- ونتبع هدايتنا الذاتية" تشير إلى التدبير.

في المقابل لما جاء وفد بني عامر إلى النبي ﷺ فقالوا: أنت سيدنا قال: ((إنما السيد الله تبارك وتعالى))، مع أنه ثابت للنبي ﷺ صفة السيادة، لكن النبي ﷺ تواضعاً وخشية الانزلاق في الغلو نهاهم عن استخدام هذا اللفظ، فمن باب أولى أن يُخشى على الإنسان إذا كان يصف نفسه بالخلق أن يقع فيه اعتقاد باطل، فلو قال أحد أنا لا أقصد الخلق الخاص بالله سبحانه وتعالى، بل أقصد شيئاً يليق بالإنسان، نقول له: استخدامك لهذا اللفظ بهذا السياق وبهذا الإطلاق وبهذا التكرار مزلق خطير.

الحلقة الخامسة:

قانون الجذب وأفعال الرب عز وجل



Albaydha

الربوبية هي أفراد الله سبحانه وتعالى بالخلق والملك والتدبير، أي مطلق الخلق، ومطلق الملك، ومطلق التدبير، ومن المعلوم أن الإنسان لديه شيء من الملك، وشيء من التدبير، وشيء من الخلق بمفهومٍ مقيّد، لكن الإشكالية في القانون هو إطلاقهم مصطلح الخلق، التدبير، والملك.

في الطرح الأجنبي المترجم أو في الطرح العربي الأصيل -إن صح التعبير- يستعمل لفظ (الخلق) لما يعبرون عن الجذب، فيقولون: "أنت تخلق قدرك، أنت تخلق واقعك، نحن خلّاقون، نحن نخلق، الإنسان خالق" إلى آخره.

وإذا نوقشوا في إشكالية استعمال هذا المصطلح نجد أنهم ينازعون في ذلك، ويردون بأن الله سبحانه وتعالى قد أثبت وجود خالقين غيره، وأنه أثبت صفة الخلق للإنسان، كما في قول الله سبحانه وتعالى ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤] فجعلوا هذه الآية فيها إثبات الخلق للعبد، وليس محل الإشكال بيننا وبينهم في كون الإنسان يوصف في بعض المواضع بأنه "خالق"، لأن الخلق يأتي بمعنىين:

أ. المعنى الأول: الإيجاد من العدم، وهذا يختص به الرب سبحانه وتعالى لا يمكن أن يفعله الإنسان.

ب. المعنى الثاني: الصناعة والتقدير، صناعة شيء من أشياء موجودة مسبقاً، فيسمّى هذا في العرف وفي الاصطلاح خلّاقاً، وإذا أطلق بهذا المعنى لا يوجد فيه إشكالية كبيرة.

الإشكالية في الطرح الروحاني:

أ. جعلهم الخلق الذي يتصف به الإنسان مطلقاً، وليس مقيّداً بأشياء محددة، أو بإعادة صنع شيء مثلاً، أو بتجميع أو نحو ذلك، بل يجعلونه مطلقاً، ويطلقون عليه بأنه خالق لكل شيء، أي للأقدار الكونية.

ب. استخدامهم للفظ (الخلق) حقيقة معناه عندهم هي: الملك والتدبير، وهذه هي الإشكالية الأكبر؛ لأنها الآن دخلت في خصيصة ثانية من خصائص الرب سبحانه وتعالى، ليست الإشكالية الآن أنك تستخدم لفظ (الخلق)، لكن الإشكالية ماذا تقصد لما تقول "أنا أخلق"؟

عند النظر في طرحهم لمعرفة ماذا يقصدون بالخلق، فسنجد أنهم يجعلون للإنسان القدرة في الاستشفاء عن طريق الجذب، فهو يخلق الشفاء، ويستطيع أن يخلق الرزق، والتوفيق، والمال، والنجاح، والسعادة، وصالح الأزواج، وصالح الأبناء، كل هذه الأشياء يستطيع الإنسان خلقها وإنشاءها عن طريق ممارسات الجذب التي ليس فيها بذل للسبب.

وهذا كله منازعة ظاهرة للتدبير الرباني؛ لأن هذه الأمور هي ليست أفعال العبد، وإنما هي أقدار خارجية كونية، فإذا (الخلق) بمعناه عندهم لا يمكن أن يقال أنه في إطار الاستخدام المباح الذي ورد في بعض النصوص، أو الذي أباحه السلف وعلماء الخلف.

ولذلك قال ابن الجوزي -رحمه الله- لما قال "فإن قيل: كيف الجمع بين قوله ﴿أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤] وقوله ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ﴾ [فاطر: ٣]؟" قال: "فالجواب أن الخلق يكون بمعنى الإيجاد ولا موجد سوى الله" -هذا المعنى الأول-، قال: "ويكون بمعنى التقدير ... فهذا المراد هاهنا"، والتقدير هنا ليس معناه القدر، بل هو نوع من الصناعة، وبالرجوع للمعاني والمعاجم نجد استخدامهم لها مرادفة لمعنى الصنع، فيقولون: الخلق بمعنى الصناعة والتقدير .

يقول: "فهذا المراد هاهنا أن بني آدم قد يُصَوِّرون ويقدِّرون ويصنعون" -فهو تصوير وتقدير وصنع وليس فيه إنشاء من العدم- "فاله خير المصوِّرين والمقدِّرين، وقال الأخفش: الخالقون هاهنا هم الصانعون، فاله خير الخالقين"، وقال ابن عطية -رحمه الله- قال: "وقول (أحسن الخالقين) معناه الصانعين، يُقال

لمن صنع شيئاً: خَلَقَهُ"، فهذه الآية واردة في معنى معين ليس هو المفهوم الذي يريدونه، والمنازعة معهم ليست في اللفظ وإنما في المعنى الذي يستخدم له مثل هذا اللفظ.

ومن اللطيف لو نتأمل في قول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمِعُوا لَهُ﴾ الآية حقيقة يعني تُعْظَم وتُجَلِّ موضوع الخلق الحقيقي الذي لا يمكن أن يكون إلا لله سبحانه وتعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ [الحج: ٧٣] فالإنسان كأنه يستكبر بهذه الكلمة "أنا أخلق"، و"أنا أفعل"، فما الحاجة أصلاً لكثرة استخدام مثل هذه الكلمة التي فيها شيء من المنازعة؟ حتى وإن كانت على معنى صحيح، يؤنف من درجتها في الألسن. مثل قولنا مثلاً: أنت تخلق المشاكل، فالأولى تجنب هذه الكلمة مع أنها صحيحة في مكانها.

ولو نتأمل في قول الله سبحانه: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤] لما كانت الآية فيها إثبات لنوع من الخلق للبشر، لم يذكر التدبير، في المقابل لما أفرد الله نفسه بالخلق جل جلاله، كما في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [فاطر: ٣] قرَن ذلك بالرزق، وهو صنف من أصناف التدبير، فهنا خلق خاص بالله سبحانه وتعالى مقترن بالرزق الذي يأتي من السماء والأرض، الذي يختص به الله جل جلاله، فمن ينازع في الرزق الذي يأتي من السماء وينسب إلى نفسه، صار منازعاً لله جل جلاله في خصائصه التي تفرّد بها سبحانه.

● الإشكال الثالث في قانون الجذب: إنكار القدر.

الإيمان بالقدر من المسائل المهمّة جدًّا التي ينبغي للمسلم عمومًا أن يضبطها خاصة في هذه الأزمان، وإنما يؤتى كثير من الناس؛ لأنهم لا يعرفون المعتقد الصحيح وما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه في القدر.

الإيمان بالقدر هو الركن السادس من أركان الإيمان، جاء في حديث جبريل الطويل المشهور: (قال: ما الإيمان؟ قال: الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره)، فهذا ركن من أركان الإيمان لا يستقيم الإيمان إلا به، وفي الأثر المشهور المروي عن ابن عباس -رضي الله عنهما-: "القدر نظام التوحيد، فمن وحّد الله عز وجل وآمن بالقدر فهي العروة الوثقى التي لا انفصام لها، ومن وحّد الله تعالى وكذب بالقدر نقض التوحيد"، فلا يمكن أن يستقيم التوحيد الذي هو ألوهية وربوبية وأسماء وصفات إلا بأن يؤمن الإنسان بأن الله سبحانه وتعالى هو الخالق المدبر العالم المقدرّ الفاعل جل جلاله.

ويدخل القدر في الأسماء والصفات من جهة، ويدخل في الألوهية بالتعبد والتسليم والتوكل التي هي عمل القلب، ويدخل في الربوبية بالتسليم لله سبحانه بأنه الخالق المالك المدبر جل جلاله المقدرّ، فهو منتظم في التوحيد، داخل في جميع أقسامه.

عرّفه شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- تعريفًا موجزًا في قوله: "هو علم الله وكتابته المطابقة لمشيئته وخلقه"، وهذه هي مراتب القدر الأربعة.

• ماذا يعني أن أؤمن بالقدر؟

قبل الحديث عن مراتب القدر يجدر بنا الإشارة إلى أن الكلام في القدر ينطلق من مسارين:

أ. ما يتعلق بأفعال العبد التي تخضع في الغالب للاختيار، يعني فعله للطاعة، فعله للمعصية، الكفر، الإيمان، العبادة، المعاصي، كل هذه الأمور هي أفعال للعبد مرتبطة بإرادته وباختياره .

وهذا المسار وقع فيه الخلاف والإشكالات التي وقعت في القدر قديمًا، وكثير من الفرق التي خالفت مذهب أهل السنة والجماعة في القدر إنما خالفت في هذه الجزئية: هل العبد مجبور على فعله؟ أو العبد له مطلق الاختيار؟ أو أن اختياره خارج عن إرادة الرب سبحانه وتعالى.

ب. ما يتعلق بالأقدار، الأقدار الكونية التي لا تخضع لإرادة العبد مباشرة، كطلوع الشمس، وحدث زلزال، المرض، وغيرها من الأمور التي هي محض أقدار ليست خاضعة للإرادة البشرية بشكل مباشر .

وهذه في الغالب لم يقع فيها الخلاف، فالأصل أن الناس متفقون على أن الرب هو المتصرف المدبر.

الكلام في قانون الجذب هو في المسار المتفق عليه، فأفعال العبد واختياره مثل: هل يختار أن يصلي أو المرأة تختار تلبس الحجاب أو مجبورة ونحو ذلك ليست هذه الإشكالية عندهم فقط، إشكالياتهم أكبر من هذا بكثير، فمثلًا: هل الزلزال حصل بسبب نوايا الناس أو لا؟ هل الشمس تخرج في هذا الوقت؟ هل المطر ينزل بإرادة الناس أو ليس بإرادتهم؟ فعندهم إشكال في كل مسارات القدر.

فنحن نعلن أن ما يصدر من العبد هو على ثلاثة أنواع:

- أ. الأفعال الإرادية كالتنفس والهضم وغيرها.
 - ب. الأفعال الإرادية العادية كالأكل والشرب والحركة والقيام والقعود، الناس متفقين على أنه يقوم ويقعد ويأكل ويشرب .
 - ج. الأفعال التعبدية التكليفية؛ كالصلاة والكف عن المحرمات ونحوها.
- أصحاب قانون الجذب هذه الثلاثة أمور كلها بالإضافة إلى الأقدار الكونية، كلها يعدونها من صنع العبد، خاضعة لإرادة العبد.
- ولما نقول "خاضعة لإرادته" يعني ذلك أنه ليس بالضرورة أن يقول "انزل يا مطر، اهتزي يا أرض"، بل يكون لديه سر معين، أو شفرة يستطيع من خلالها أن يتحكم بهذه الأمور .

● مراتب القدر:

أولاً: مرتبة العلم، أي الإيمان بعلم الله سبحانه وتعالى بما كان، وما هو كائن، وما سيكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون.

والدليل على علم الله الشامل المحيط هو قوله سبحانه: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ [الحشر: ٢٢] الغيب كله والشهادة كلها، الله سبحانه وتعالى علمها، فكل ما يغيب عن الإنسان، وكل ما يغيب عن الحواس البشرية، وكل ما هو غائب عن هذا العالم المحسوس فالله سبحانه وتعالى يعلمه، وكل ما هو مشهود أو خاضع للحواس أو قابل للمعرفة الحسية فإن الله سبحانه وتعالى يعلمه، ولذلك قال الله سبحانه وتعالى: ﴿أَخَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢] مطلقاً!

بل حتى الأشياء التي لم يقدرها الله سبحانه وتعالى، أو التي لم يحكم بأن تكون يعلم لو كانت ماذا سيحصل، ويعلم الكيفية التي سيقع بها، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذَّبُ بِآيَاتِ

رَبَّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿[الأنعام: ٢٧]﴾ هم يتمنون الرد إلى الدنيا لأجل ألا يكذبوا بآيات الله سبحانه وتعالى، هذه دعواهم الآن: نُرد، وإذا رُدَدنا فلن نُكذِّبَ بآيات ربنا، ﴿بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ﴾ ثم قال: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [الأنعام: ٢٨] علم لو أنهم رُدوا -مع أن هذا يعني ممتنع شرعاً أن يردوا هؤلاء- لكنهم لو ردوا لعادوا لما نهوا عنه.

ومسألة العلم لم يخالف فيها كثير من الناس، خالف فيها القدرية الذين هم نفاة القدر المتقدمين، أما المتأخرين منهم -المعتزلة اللي اشتهروا بنفي القدر- هؤلاء لم ينكروا العلم، إنما أنكروا المرتبتين الأخيرتين؛ ولذلك فمن أنكر علم الله سبحانه كفر؛ هذه الآيات صريحة في أن الله سبحانه وتعالى عالم الغيب والشهادة، لا يخفى عليه شيء جل جلاله.

ثانياً: مرتبة الكتابة، أي كتابة ما علمه الله سبحانه.

والكتابة على أقسام، لكن المقصود إثبات الكتابة إجمالاً، التي في اللوح المحفوظ قبل أن تخلق السماوات والأرض، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج: ٧٠] كل ما في السماء والأرض يعلمه جل جلاله، وكل هذا المعلوم مكتوب.

ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلٍ أَن نَّبْرَأَهَا﴾ [الحديد: ٢٢] من قبل أن نخلقها، فكل هذه المصائب التي تحصل، الأقدار، مصيبة، حصل هدم، مات ولد، انتشر وباء، إنما هي مكتوبة عند الله سبحانه وتعالى قد علم بها وكتبها جل جلاله، يقول النبي ﷺ: ((إن كتب الله مقادير الخلائق كلها قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء)).

* مسألة:

يكثر الظن أن هذه الكتابة هي نوع من الجبر، وقد طرأ هذا الإشكال على بعض الصحابة -ليس كبارهم-، فقالوا: "ففيهم العمل؟" لما علموا أن من أبناء آدم ومن البشر من خلق للجنة، ومنهم من خلق للنار، فقالوا ففيهم العمل؟ أجابهم النبي ﷺ فقال: ((اعملوا فكل ميسر لما خلق له))، فمن خلق للجنة عمل بعمل أهل الجنة، ومن خلق للنار عمل بعمل أهل النار.

فإن الله سبحانه وتعالى يعلم ما سيختاره الإنسان، يعلم أن هذا الإنسان سيصلي وسيتقرب إلى الله سبحانه وتعالى وسيطيع الله سبحانه وتعالى، فكتب جلّ جلاله الشيء الذي علمه من فعل الإنسان في مستقبل الزمان، ولا يتعارض هذا مع مسألة الاختيار، فالاختيار جعله الله مناط التكليف، وزواله بالنوم أو بالجنون مثلاً أو بغير ذلك من مزيلات العقل يزول به التكليف.

فالتكليف الذي يترتب عليه الجزاء الأخروي مرتبط بهذا الاختيار الذي منحه الله سبحانه وتعالى في الحدود التي أمر الله عز وجل العبد بها.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- معلقاً على حديث تقسيم الناس إلى الجنة والنار، قال: "وهذا الحديث ونحوه فيه فصلان، قال أحدهما: القدر السابق وهو أن الله سبحانه وتعالى علم أهل الجنة من أهل النار من قبل أن يعملوا الأعمال" أي أن الله سبحانه وتعالى علم ما سيعملون؛ لإحاطته جلّ وعلا، ولأنه خالقهم سبحانه.

ثم يقول: "وذلك أن الله سبحانه وتعالى يعلم الأمور على ما هي عليه، وقد جعل للأشياء أسباباً تكون بها فيعلم أنها تكون بتلك الأسباب" إلى أن قال: "وهذا يكون شقيّاً في الآخرة قلنا ذلك لأنه يعمل بعمل الأشقياء، فالله علم أنه يشقى بهذا العمل" علم الله أن هذا العبد سيشقى بعمله الذي عمله واختاره.

ثالثاً: مرتبة المشيئة، وهي أي أن الله سبحانه وتعالى شاء أن يحصل هذا الذي يحصل في الكون.

والمقصود بالمشيئة هنا عند الإطلاق الإرادة الكونية، وهي لا تستلزم المحبة والرضا.

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ ۚ بِيَدِكَ الْخَيْرُ ۚ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦] فأعطاء الملك ونزع الملك، يعز فلان ويذل فلان، هذه كلها بمشيئة الرب سبحانه وتعالى، ولا يحصل شيء من هذه الأقدار إلا بمشيئة الله سبحانه وتعالى.

ويقول الله جلّ جلاله: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ المشيئة هنا هي إرادة الله سبحانه وتعالى الكونية، وأنه لا يكون في هذا الكون إلا ما يشاء، يعني الله سبحانه وتعالى علم أن الشيء سيكون ثم كتب الله سبحانه وتعالى علمه، ثم إذا حان أوان حصول هذا الشيء فإنه لا يكون إلا بمشيئته، ليس شيء يحصل في الأرض ولا في السماء إلا بمشيئة الرب جلّ جلاله، فلا شيء خارج عن إرادته سبحانه وتعالى.

وهذا هو محل النزاع مع القدرية الذين يقولون "إنما يحصل في الكون ما لا يريده الله سبحانه وتعالى"، وهذا موطن تبيد المعترلة فيما يتعلق بالقدر.

رابعاً: مرتبة الخلق، معناه أن هذه الأقدار سواء كانت من أفعال العبد الاختيارية أو كانت من الأمور الكونية المحيطة بالإنسان كلها مخلوقة لله جلّ جلاله؛ لأن ما عدا الله سبحانه وتعالى مخلوق.

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٠٢] كل شيء في هذا الكون سواء كان فعلاً، أو عيناً، كل شيء عدا الله



جل جلاله مخلوق، فيقرّ الإنسان بأن هذه الأقدار الكائنة في العالم من حوله كلها من خلق الله سبحانه وتعالى، وليس ثمة موجد مع الله سبحانه وتعالى. محل الإشكال المتعلق بالقدر في قانون الجذب هو في كون الإنسان يخلق العالم الذي يحيط به، والواقع الذي يعيشه.

الحلقة السادسة:
قانون الجذب
والإيمان بالقدر

الحلقة السادسة:
قانون الجذب
والإيمان بالقدر



Albaydha

هل الكتابة تستلزم الجبر-أي الإكراه؟

المشاهد في المجتمعات اليوم هو وجود نزعات جبرية -للأسف- ونزعات قدرية فيما يتعلق بأفعال العباد والطاعات والعبادات.

فالجبرية تحصل عند كثير من الكسولين فيما يتعلق بموضوع العبادة، فلو تسألين أحد: لماذا لا تصلي في المسجد؟ قال لو أراد الله أن أصلي في المسجد صليت في المسجد لكن ما كتب لي الله.

لماذا لا تلبسين الحجاب؟ لأن الله ما كتب لي أن ألبس الحجاب، ولو كتب لي أن ألبس الحجاب؛ لبسته.

فهذا احتجاج بالقدر على المعصية، وهذا هو مبنى الاعتقاد الجبري، أن الإنسان مجبور على فعله، ومن ثمَّ يفعل ما يشاء، حتى وصل الغلو بالجبرية إلى أنهم قالوا أن الإنسان إذا مات فإنه يُنعم في النار -إذا كان يفعل المعاصي- لأنه مجبور على فعله، مجبور على المعصية والإجرام والكفر الذي فعله في الدنيا فإنه إذا دخل النار -ما كان له اختيار في الدنيا- فإنه يكون متلذذاً بهذا العذاب.

وهذا أتاها من الفهم المغلوط للنصوص، واجتزاء النص، وهذه تكاد تكون قاعدة عامة عند كل من ابتدع في الدين أنه ينتقي من النصوص ولا يجمع بينها؛ ولذلك كان من خصائص أهل السنة والجماعة: الجمع بين النصوص.

فالجبرية أتوا إلى النصوص التي أثبتت المشيئة للرب سبحانه وتعالى واقتصروا عليها، كقوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ ويجعلونها قاعدة عامة أن الإنسان مجبور، ويتركون النصوص التي تنص على أن للعبد اختيار في نطاق قدرته، والتي يستدل بها القدرية ويقتصرون عليها.

فالرد على الجبرية إنما هو بأدلة القدرية، والرد على القدرية هو بأدلة وشبهات الجبرية، والجمع بينهما هو مذهب أهل السنة والجماعة.

الإشكالية عند الجبرية أنهم -في الغالب- لا يحتجون بالقدر إلا في قضايا العبادة، أو في المحرمات، والمعاصي، فيحتجون بمسألة القدر وأن الإنسان مكتوب له أن يكون فاسقا أو ألا يفعل.

ولو أتيت لنفس الشخص وقلت له: إذا كتب لك الولد سيأتيك الولد، لا تبحث عن زوجة، وإذا كتب لك الرزق فسيأتيك الرزق، ما الداعي لذهابك لوظيفتك؟ إذا كتب لك الشبع ستشبع فلا حاجة للأكل.

كل هذه الأمور اليومية والاحتياجات البشرية الاعتيادية لا يحتج أحد بالقدر عليها، بل يفعل السبب حتى يصل للنتيجة التي يريدها.

ولو قال شخص: دع عنك الأسباب ولا تفعل باختيارك شيء، وانتظر ما كتبه الله سبحانه وتعالى لقليل عنه مجنون.

لكن لما نأتي إلى الصلاة مثلاً يقول لك: لو كتب لي أن أصلي لصليت، لم لا تفعل السبب الآن؟

وأيضاً: فإن من يقول بالجبر إذا احتج بالقدر فعليه أن يستعمل هذه الحجة إما له وعليه، وإما لا يستعملها له ولا عليه، فلو قال مكتوب علي أن أسرق مثلاً، أو أنام عن الصلاة، فإذا أردت قبول هذه الحجة في حقك، فلا بد أن تقبلها من غيرك. فلو سرق أحد مالك وهدم بيتك لا تلمه! هو مجبور مثلك، فإما أن تقبل الحجة لك ولغيرك أو لا تحتج بها.

كما يُرد على الجبرية بالنصوص الشرعية التي تُثبت للإنسان مشيئة كقوله تعالى: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ فللعبد إرادة ثابتة بنصوص مستفيضة في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وهي مقيّدة بإرادة الله سبحانه وتعالى، داخلة تحت مشيئته جل جلاله.

وغالباً ما يكون منبع الاحتجاج بالقدر على المعصية الشهوات وليس الشبهات، ومنبع نفي القدر إنما هو من الشبهات في كثير من الأحيان.

في المقابل جاءت ردة الفعل، يريدون الرد على الجبرية فأفراطوا وقالوا: العبد له الخلق المطلق وهو خالق فعل نفسه، يريدون الفرار من قضية أن يكتب الله عز وجل على عبده ثم يعاقبه، وبالغوا في قانون الجذب ربما مبالغة شديدة فخرجوا عن نسق العقل، وهذا ما جعلنا نتطرق إلى السؤال ما موقف المسلمين الذين يمارسون قانون الجذب ويروجون له ويؤمنون به من عقيدة القدر؟

المخالفة التي يقع فيها ممارسو قانون الجذب في مراتب القدر وهي صريحة في طرحهم:

-في مرتبة العلم: المتتبع لطرح المروجين لقانون الجذب يجد أنهم لا يتكلمون كثيراً في مسألة العلم؛ لأن الكلام في العلم خطير.

-في مرتبة الكتابة: أكثر الإشكالات إنما تأتي في هذه المرتبة، فمنهم من ينكر الكتابة كُليّةً، ولا يؤول أو يبرر، يصرح أن القدر غير مكتوب فهذا كأنه يقول الأمر أنف، وهذا أخطر أقوال القدرية، وهو قريب من قول القدرية المتقدمين الذي يقولون أنه لا قدر والأمر أنف.

يوضح صلاح الراشد مفهوم الكتابة للقائلين بالجذب أو عنده وعند من هو على نهجه فيقول: "القدر تفاعلي وليس مكتوب والكون مسخر".

"القدر تفاعلي" بمعنى أن القدر فيه أخذ وعطاء، والقدر يدخل فيه: العلم والكتابة والمشية والخلق.

فما المقصود بقولهم "القدر تفاعلي"؟ هل العلم تفاعلي؟
أو الكتابة في اللوح المحفوظ التي قبل أن تخلق السماوات بخمسين ألف سنة تفاعلية؟

وصلاح لديه اطلاع على النصوص الشرعية فلا يستطيع أن ينكر بصراحة ويقول: لا كتابة، فيأتي إلى النصوص التي أثبتت الكتابة ويفسرها على مقالات لرجل روسي اسمه "فاديم زيلاند" يقول: "كتابة القدر تعني: أن الله سبحانه وتعالى قد كتب احتمالات لا محدودة!"

مثال ليتضح كلامه: يعني أن الله كتب قيامك للصلاة، وكتب تأخيرك للصلاة، وكتب ألا تصلي أبدًا، وكتب كل الاحتمالات الممكنة، ثم أنت الذي تختار من هذه الاحتمالات.

فهذا مثال في الطاعات والعبادات، ولو عرضنا المثال في الأقدار الكونية، فكأنه يقول: الله كتب للعبد أن يُرزق ذكر، وكتب للعبد أن يُرزق أنثى، وكتب للعبد أن يُرزق طفل معاق، وكتب للعبد أن يُرزق طفلًا صحيحًا، أو توأم، احتمالات متعددة وأنت الذي تختار أيها يحصل لك.

فهذا هو مفهوم الكتابة عندهم، وهو احتيال على إنكار الكتابة؛ لأن قولهم يفيد أن الذي يحدد ما يحصل في الواقع هو أنت، وليس الله هو الذي كتب ذلك تحديدًا!

هنا يأتي سؤال العلم: هل يعلم الله سبحانه وتعالى أنك ستُرزق بنت أو ولد؟ إذا قال لا يعلم فهذه القاصمة، وإن قال يعلم أنه سيختار أن الإنسان سيُرزق الولد أو سيرزق البنت، نقول فما الحكمة من كتابة عشرين احتمال؟ إذا كان يعلم، لماذا لم يكتب الشيء الذي يعلم أنك ستختاره؟

وهذا يبين قول الإمام الشافعي -رحمه الله- في معرض مناقشة القدرية، قال: "ناظروهم بالعلم" لأنهم إن أنكروه كفروا؛ لأن منكر علم الله يكفر و "إن أقرؤ به خصموا".

فهم لا يصرحون بإنكار الكتابة، لكن مفاد قولهم، واللازم منه هو إنكار الكتابة. "فاديم زيلاند" يقول: "لابد أن تعمل تزامن مع القدر الذي تريد".

ويقول صلاح الراشد: "القدر مكتوب بكل احتمالاته وأنت تختار أيًا منهم تريد"، ثم يقول في موضع آخر: "الدين الإسلامي ينص على أن قدر الإنسان مكتوب" فهو لا ينكر الكتابة صراحة، لكن يلزم من أقواله إنكارها.

في قولهم: "القدر مكتوب بكل احتمالاته وأنت تختار أيًا منهم تريد" كيف يستطيع الإنسان اختيار أحد الاحتمالات؟ عن طريق التجانس أو التناغم مع الكون، وهذه مفاهيم فلسفية ليست شرعية ولا علمية .

وهذا يسقط أي مخرج لبيان أنهم يقصدون بقولهم هذا العمل أو السعي، بل إنهم يقصدون به مثلاً رفع مستوى التفكير بنمط معين من التزامن فبذلك ينجذب القدر.

فيقولون مثلاً: "ومستوى التفكير هو المستوى الأعلى أن تكون في صمت بعض الوقت، يعني أن تدخل في مجال عالم الاحتمالات، العالم الذي يسبق صناعة الأحداث، وهو البعد الذي فيه كان الأنبياء ويتواجد حالياً فيه العظماء". هناك قصيدة عامية غناها صلاح الراشد ومجموعة من المطربين، اسمها "يقولون القدر"، نصها:

"وأنا أقول لك قدرنا يكون يا محمد بظن وقول
ومحد يمنع النيات إذا الإنسان هو المسؤول
وربنا ما خلق العباد عشان يعذب المكروب
جل الله الرحمن خيارك أنت هو المكتوب"

احتوت على شبهة القدرية، فهو يقول: "قدرنا يكون بالظن والقول"، فلم يقل مثلاً: قدرنا بالعمل مثلاً، وإنما بالظن والقول، وأردفها بالنيات، والمقصود بالنية: باطن الشعور وما يقوله الإنسان وما يفكر فيه، فهذه هي الأشياء التي تجذب القدر عندهم.

فهم بكلامهم هذا أدخلوا الناس في مأزق المحاسبة حتى على مجرد الخطرات والنيات، وزعموا أنها هي التي تخلق أقدرهم، في حين أننا نجد في العقيدة الإسلامية أن الله عز وجل لم يكلفهم بأكثر مما يستطيعونه وهو السعي في السبب المتاح، وامتنال الأمر المشروع، وعليه يحاسب فقط! هذه حدود محاسبته، أما النيات والخواطر فقد نص أنه معفو عنها، بل حتى الزلة في القول، كأن يدعو الإنسان مثلاً بطريقة غير صحيحة، فالله جل جلاله عفا عن الرجل الذي قال: اللهم أنت عبدي وأنا ربك؛ لعلمه بما في قلبه. وهؤلاء يقولون إذا دعوت بطريقة غير صحيحة يأتيك الشيء الذي تدعو به لأنك لم تعرف صياغة الجملة بطريقة صحيحة، أنت طلبت شيئاً لا تريده فيأتيك الشيء الذي لا تريده، ويحملون الإنسان تبعات الكون كلها. تنمة القصيدة، يقول:

"تراني اليوم أنا قررت

أغير في القدر مفهوم"

وهذه إشكالية أن يأتي ويقول أريد أن نغير مفهومنا في القدر! ثم يقول:

"يا مطرف أنت بفضل أقدار

لخصت بسطر مبغاك

طريق الساعي المبروك

بوعيه يناغم الأفلاك"

وقوله: "بوعيه يناغم الأفلاك" معناه -على كلام صلاح نفسه- أن هناك نوع من التناغم بين الأفكار والأفلاك التي هي مسخرة، وبتغيير الأفكار، تنعكس هذه الأفكار إلى ما هو موجود في الخارج الوهمي، وأن كل ما حول الإنسان وهم، والحقيقة هي الأفكار والمشاعر وما تشعر به في باطنك ووعيك. وهذا موافق لكلام ديباك شوبرا، وموافق لفلسفة الفيديانتا وغير ذلك.

وهو يعني بذلك أن الكون مسخر لك، تفعل ما تشاء في الكون، وهذه عقيدة خطيرة، فإن أتى إنسان وقال: "الكون كله بإرادتي أنا!" وهو لا يعني بذلك تسخير المنافع على المفهوم الشرعي، بل يقصدون التصرف في الكون، فالمعنيين مفترقين تمامًا.

-ويقول أيضًا: "أن الله هو الرحمن ليس بمعقول يعذب العبد، وهو يقول أنهم يقولون أن الرب يبتلي" ولسنا نحن الذين نقول أن الرب يبتلي، الله سبحانه وتعالى يقول: (ليبلوكم) فالدنيا دار ابتلاء سواء بالشر والخير، والنبى ﷺ يقول: ((أشد الناس بلاءً)) فالبلاء لا ينافي الرحمة، بل قد يكون من الرحمة في كثير من الحالات، فالناس يبتلون في الدنيا بأصناف من الابتلاءات وهذا أمر مسلم به في الشريعة، ومستفيض في النصوص الشرعية.

القائلون بال جذب لما رفعوا الإنسان إلى مصفّ الربوبية حقيقةً ولما زعموا أن له مطلق التصرف والتدبير، حمّله ما لا يطيق، فإذا حصل للإنسان مصاب أو ما يخالف مراده، فبدلاً من أن يقول: قدر الله وما شاء فعل، يلقي باللوم على نفسه ويفعل ما نهاه النبى ﷺ عنه ويقول: لو كان كذا لكان كذا، ويفتح باب الشيطان على مصراعيه؛ لأنه يعتقد أن كل ما في الكون يحصل بحسب فعله هو وإرادته، أو بحسب تركيبه.

لكن المسلم الموقن بقدر الله تعالى يُسلم بهذا، ويحتج بالقدر عند المصائب لا عند المعائب، فالمؤمن بالقدر في راحة وطمأنينة، لكن المؤمن بال جذب غير مرتاح.

ولا يعني ذلك أن شريعتنا لا تأمر بالاجتهاد في تصويب الخطأ، بل إننا مأمورون بفعل الأسباب، والإنكار على من لا يفعل الأسباب، وإنكار الأسباب فعل الجبرية والمتصوفة المتواكلون الذين لا يفعلون الأسباب، وهو غير مقبول عند أهل السنة.

يُستخلص من هذا: أن تفسير مرتبة الكتابة بتعدد الاحتمالات لا يصح، بل هو مخالف للعقيدة في الله جل جلاله، وعقيدة أهل السنة والجماعة أن الله يعلم ويكتب الشيء الذي سيكون بعينه.

- مخالفتهم في المرتبة الثالثة وهي: المشيئة.

يقول أحمد عمارة: "المشيئة ليست لله، المشيئة إنما هي للعبد، فالله سبحانه وتعالى ترك المشيئة لك"، ثم يستدل ببعض الآيات في كتاب الله سبحانه وتعالى ويؤولها، فيقول مثلاً في قول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَزُوقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ فيجعل المشيئة راجعة للعبد، فيقول يرزق من يشاء الرزق، فالمشيئة هي للعبد، ويأتي لقوله تعالى: ﴿يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ ويزعم أن المراد: من يشاء الهداية من عباده فإن الله سبحانه وتعالى يهديه.

فنقول:

أولاً: بالرجوع والنظر لكتب المفسرين الذين نقلوا عن أصحاب رسول الله ﷺ نجد أنه لا أحد من السلف أتى بهذا القول ولا نقله أحد منهم عن الصحابة رضوان الله عليهم.

فهذا القول ابتدعه هو من عنده، لم يسبقه أحد من جهابذة الأمة في هذا القول، والصحابة والتابعين وعلماء الأمة هم الأعلم بمراد الله ورسوله ﷺ.

ونقول: ما الذي يجعلني أقبل قولك يا أحمد عمارة في هذه المسألة التي لا تظهر لي ابتداءً عند قراءة النص ولا أقبل قول ابن كثير أو الطبري؟ لماذا هؤلاء قولهم فيه إملاء وفيه وصاية وأنت قولك مقبول؟ مع أن هؤلاء جهابذة في العلم، لهم مكانتهم، لا ينقلون من عقولهم، كل ما يقولونه مسند بالدليل وأقوال السلف وأقوال الصحابة رضي الله عنهم.

ثانيًا: أنه ينتهج منهجًا انتقائيًا فيختار الآيات التي تحتل ما يريده، ويغفل جميع الآيات الصريحة الظاهرة التي لا يمكن أن تحتل مثل هذا النوع من التأويل. فمثلاً يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا﴾ آية صريحة، لا يستطيع أن يؤولها ويقول: ولو شاء العبد! ويقول سبحانه: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ﴾، ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾، وأيضًا في قوله سبحانه: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ﴾ كل هذه الآيات لا تؤول! ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾.

● الإرادة والمشية في القرآن:

إشكالية القدرية في الإرادة عمومًا أنهم يجعلونها مستلزمة للمحبة والرضا، فقالوا: "إذا كان الله سبحانه وتعالى أراد شيئًا فلا بد أن يكون يحبه ويرضاه" فجعلوا الإرادة واحدة، وهذا غير صحيح! لأن الله سبحانه وتعالى قد أثبت في كتابه نوعين من الإرادة:

النوع الأول: الإرادة الشرعية وهي التي تستلزم المحبة والرضا، والمقصود بها الأوامر الشرعية، وهذا النوع من الإرادة قد يحصل وقد لا يحصل، لكنها إرادة الله بمعنى أن الله يحبها، ويريدها من العبد.

وهي ليست إرادة قدرية؛ لأنها لو أصبحت إرادة قدرية، فليس للعبد اختيار فيها. فإذا هذه الإرادة بمعنى المحبة، لا تستلزم هذه الوقوع.

وهي تعرف بالنصوص الشرعية التي تدل على أن الله يبغض شيئًا أو يحبه.

النوع الثاني: الإرادة الكونية والإرادة القدرية وهي بمعنى: المشية، وهي مرتبطة بالحكمة وليست مرتبطة بالمحبة، وهي شاملة لكل شيء في هذا

الكون سواء كان محبوب لله سبحانه وتعالى أو غير محبوب لله. فالمعاصي والكفر والشُرور التي تحصل في الدنيا مثلاً هي من إرادة الله الكونية التي قدرها لحكمة بالغة.

وهذه الإرادة الكونية لا بد أن تقع، وليس للعبد فيها اختيار، فإذا أراد الله سبحانه وتعالى شيئاً قال له: كن فيكون.

الحلقة السابعة:

قانون الجذب: فساد اللفظ والمعنى



Albaydha

الواجب على المسلم الاعتصام بالله عز وجل، فإنه لا أسرع من الشبهة أن تتسرب إلى القلب فتقلبه؛ وقد كان من دعاء النبي ﷺ: ((اللهم إني أعوذ بعزتك لا إله إلا أنت أن تضلني))، فالنبي ﷺ -وهو نبي الله- تعوذ بعزة الله جل وعلا من الضلال، قال: ((أنت الحي الذي لا يموت والجن والإنس يموتون)). ودعاء النبي ﷺ كذلك المتكرر من حديث عائشة وأم سلمة -رضي الله عنهما-: كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول: ((يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك))، فقلت: يا نبي الله آمنا بك وبما جئت به، فهل تخاف علينا؟ قال: ((نعم إن القلوب بين أصبعين من أصابع الله يقلبها كيف يشاء)).

وفي حديث أم سلمة -رضي الله عنها-، فتلا معاذ: ﴿ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا﴾ [آل عمران: ٨]، بل كان أبو الأنبياء وإمام الحنفاء إبراهيم عليه الصلاة والسلام يدعو ربه بقوله: ﴿واجنبني وبني أن نعبد الأصنام﴾ [إبراهيم: ٣٥].

قال إبراهيم التيمي -رحمه الله-: "فمن يأمن البلاء بعد إبراهيم؟" إذا كان إبراهيم لا يأمن ويسأل ربه العافية فمن يأمن بعده؟

● الشبهات:

- الشبهة الأولى: "أنا لا أعتقد هذه العقائد وليس قصدي من قانون الجذب الذي يقصدون، كل ما ذكرتموه من عقائد أحياناً أنا لا أعرفه أصلاً".

هذه الإشكالية يستخدمها كثير من الناس لأجل الانفكاك عن هذه المعتقدات الباطلة التي تتضمن الاعتقاد بوحدة الوجود، وتأليه الذات، وهي معتقدات كفرية، صريحة الكفر والبعد عن أصل التوحيد؛ فمن الطبيعي أن يأتي الشخص الذي يتبنّى قانون الجذب ويقول: أنا لا أعتقد بهذه المعتقدات.

والمحتجون بهذا الشبهة على صنفين أو أكثر، ومنهم:

من يقول: «نحن لا نعتقد» ويقول هذه الكلمة من باب التمويه؛ لأنه عند النظر في حقيقة كلامه، ولوازم الأقوال التي يقول بها نجدها عائدة إلى عقيدة وحدة الوجود.

وهذه الشريحة تكثر خاصة عند رؤوس الفكر وكبار المتأثرين، ولا يتصور حقيقة أنهم فعلاً لا يريدون هذه المعتقدات، وهم في الوقت ذاته يحيلون على من يعتقد بهذه المعتقدات.

والمصطلحات التي يستخدمونها مماثلة لهم، وكثير من المقالات وسياقها متفقة تماماً مع هذه المعتقدات المنحرفة.

ونحن لا نستطيع أن نلزمهم بما لم يلتزموا، لكن لا بد من التفريق بين هؤلاء وبين عوام المسلمين الذين ربما لا يدركون هذه المعتقدات، ولا يعرفون أصولها، بل في كثير من الأحيان لا يستطيعون استيعاب هذه المعتقدات أصلاً.

وجهل الإنسان بحقيقة مصطلح، لا يعفيه من تبعات استعماله؛ ولذا فمن يقول: "أنا أستخدم كلمة قانون الجذب، ولا أريد بها هذا الذي تريدون، إنما أريد معنى آخر، إما معنى دنيوي محسوس تجريبي كوضع الأهداف ونحو ذلك، وإما معنى شرعي حتى كالرجاء وما شابه من العبادات القلبية أو نحو ذلك، لكن المصطلح الذي سأستخدمه هو هذا المصطلح الوافد"، الذي هو (قانون الجذب)، نقول له:

١- هذا المصطلح ليس دارجاً وليس بمصطلح أصيل في المجتمع، بل مصطلح وافد ودخيل.

-فمن أين أتيت بهذا المصطلح؟

-وما السبب الذي جعلك تنتقيه؟

-لماذا تطلق هذا المصطلح على هذه العملية الدنيوية، أو على هذا المعنى الشرعي؟

-ما السبب الذي جعلك تختار هذا المصطلح؟

وهنا سنجد أن مستعمل هذا المصطلح حتى لو لم يصرح بالإجابات، لكن في داخله نفسه سيكون على حالتين:

أ. الحالة الأولى: أن يكون أعجب ببعض مفاهيمه؛ فتبنّى هذا المصطلح.
ب. الحالة الثانية: أن يكون أعجب بجاذبية المصطلح دون أن يهتم كثيراً بمحتواه، بمعنى أنه رأى الناس تتوافد على هذا المصطلح، فركب هذه الموجة لأجل أن يروّج الفكرة التي لديه -وإن كانت الفكرة هذه صحيحة وسليمة-.

٢- نقول له: ما الذي يؤكد لك أن المحتوى الذي تدرجه تحت هذا المصطلح هو فعلاً سليم؟ وهذه إشكالية كبرى، فإن كثيراً من الناس لا يدركون الإشكالات العقدية في مثل هذه المصطلحات، ويظنون أن عندهم القدرة الفائقة على التمييز بين الحق والباطل، والخطأ والصواب.

قد يدرك الإنسان كثيراً من المسائل الإجمالية العامة ويستطيع التمييز بينها، لكن كثير من التفاصيل أحياناً يغفل عنها حتى بعض طلاب العلم؛ وشرط الحكم على الشيء يتضمن أمرين:

-إدراك النازلة وحسن تصورها.

-إدراك الأصول الشرعية التي يبني عليها الحكم.

مما يبيّن لك أنّ الكثير من الناس غير مؤهلين للتمييز بين هذه المسائل، أو تمييز الطرح وخلوه من الإشكالات الاعتقادية: هو عدد مبيعات كتب الروحانيات ككتاب (السر) مثلاً بيع بعدد مرتفع جداً من المبيعات على المستوى المحلي، والذين انتبهوا للإشكالات في هذا الكتاب بالنسبة للعدد الكبير قليل جداً مع كون الكتاب ظاهر الانحراف.

وكذلك كتاب (قوة عقلك الباطن) لجوزيف ميرفي، من أكثر الكتب مبيعاً أيضاً مع أن إشكالاته العقدية ظاهرة في مقدمته، فقد ورد فيها: "لا يهم أنت تصلي لمن، تصلي لحجر ولا لبقر ولا كذا، المهم أن عندك يقيناً".

والمقصود: أنه ليس من زعم أنه يستطيع التمييز، أو يدّعي أن الطرح الذي يطرحه نقي وصافٍ وخالي من الإشكالات العقدية أن يكون وفقاً لتصوّره.

٣- النقطة الثالثة المتعلقة بالإشكالات في استخدام المصطلح: أن الألفاظ لها مفاهيم، وهذه فائدة اللغة، وإذا لم يكن للألفاظ مفاهيم لاستبدال التخاطب، واستحال أن يستقيم أي نوع من الحوارات والاتصال بين البشر دون أن يكون ثمة اتفاق مسبق وعرفي على مفاهيم الألفاظ.

وهذا في الألفاظ فضلاً عن المصطلحات التي قد اصطلح عليها أصحاب ذلك المصطلح، ووضعوا له مفهوماً مرتبطاً بشكل إلزامي بذلك المصطلح في سياقات معينة.

مثال: لو نظرنا في كلمة (خمر)، كلمة لها مفهوم لغوي، ولها حكم شرعي، فهل يمكن أن أطلق هذه الكلمة مثلاً على عصير العنب؟ وأقول سأسميه خمرًا، وأقول: "اأتنني بكأس من الخمر" وأنا أقصد شراب العنب؟ لا يقبل ذلك عرفاً ولا شرعاً؛ لأن لهذه الكلمة مدلول معيّن لغةً، ومدلول شرعي معيّن، فلا يحق لأحد استخدامها ولو لحقيقة مباحة؛ لأن هذه الكلمة لها ارتباط بمفهوم وحكم معين.

كذلك في قانون الجذب، إن قيل: "سأطلق قانون الجذب على الرجاء أو على التخطيط" مثلاً، لا يسلم بذلك ولا يقبل هذا الأمر.

٤- أن باب سد الذرائع -خاصة فيما يتعلق بأمور المعتقدات- هو باب في غاية الأهمية في الشريعة الإسلامية.

فالشارع منع كثيراً من الممارسات التي قد تكون ذريعة ووسيلة توصل إلى الكفر وإلى الشرك، وغلّظ في النهي عنها رغم أنها هي ذاتها قد لا يظهر فيها الإشكال بشكل واضح وبشكل جلي.

مثال ذلك: لما نهى الشارع عن إسراج القبور ووضع السرج على القبور كشعار معين، أو دون حاجة، جاء في حديث ابن عباس -رضي الله عنهما- قوله: (لعن

رسول الله ﷺ زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسُّرُج، وإيقاد السراج بحد ذاته أمر مباح؛ لكن لأنه قد يفضي ذلك إلى نوع من التعظيم، ونوع من الهيبة للمقابر من جهة سكَّانها والمقبورين فيها، سدَّ الشارع هذه الذريعة، ورتب عليها اللعن؛ لخطورة الشرك، إذ كلما ازدادت خطورة الشيء كان التحرز منه شديدًا.

إن استخدام هذا المصطلح هو ذريعة إلى المعتقدات التي تُضمَّن في هذا المصطلح عند من وضعه.

٥- لو سلمنا جدلاً أن من يستخدم هذا المصطلح قد خلا طرحه من الإشكالات العقدية، فاستعماله لهذا المصطلح أشبه بالتزكية، وكثرة المماسسة هذه لمثل هذه الاصطلاحات، تورث نوعاً من المشابهة في مدلولاتها؛ ولذلك شيخ الإسلام -رحمه الله- يقول: "المشابهة في الظاهر تورث المشاكلة في الداخل".

فلو سلمنا جدلاً أن مستعمل هذا المصطلح استطاع تخليص محتواه من المخالفات عقدية، لقليل عن استعماله لهذا المصطلح أن فيه نوع من الابتداع - إن سمي بهذا المصطلح مفهوماً شرعياً- كأن يطلق على المصطلح على الرجاء بالله سبحانه وتعالى أو شيء من العبادات القلبية، فهذه تسمية مبتدعة مختلقة مخترقة، وافدة، ليست مشروعة.

٦- ما الذي يجعلك تحيد عن المصطلح الشرعي الذي عبَّر به عن هذا المعنى لمدة ١٤٠٠ سنة؟ وتستبدل الأكمل بهذا المصطلح الجديد؟ لا يكون ذلك إلا لزيادة غير موجودة في المصطلح الشرعي.

٧- ثبت في الشرع النهي عن استخدام الألفاظ المشكلة والمشتبهة، كما في قول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، وهذه الآية أصل في ترك المشابهة في الألفاظ، يقول ابن كثير -رحمه الله- في تفسير الآية: "نهى الله تعالى

المؤمنين أن يتشبهوا بالكافرين في مَقَالِهِمْ وَفِعَالِهِمْ"، نهى عن المشابهة حتى فيما يتعلق في الألفاظ، يقول: "وذلك أن اليهود كانوا يعانون من الكلام ما فيه تورية لما يقصدونه من التنقيص -عليهم لعائن الله-، فإذا أرادوا أن يقولوا اسمع لنا يقولون راعنا، يورّون بالرعونة".

وقال السعدي -رحمه الله-: "وكان اليهود يريدون بها معنى فاسدًا فانتهزوا الفرصة فصاروا يخاطبون الرسول ﷺ بذلك ويقصدون المعنى الفاسد، فنهى الله المؤمنين عن هذه الكلمة؛ سدًا لهذا الباب. ففيه النهي عن الجائر إذا كان وسيلة إلى المحرم".

والكلمة التي نهى عنها في الآية كلمة لغوية دارجة تستخدم في سياق صحيح وتستخدم في سياق باطل، ومع ذلك جاء النهي الصريح عن استعمالها، ومن باب أولى وأشد استعمال المصطلح المرتبط بمعتقد فاسد.

وقولك: "أنا لا أعتقد" يعني أنك تعلم أن هذا المصطلح مرتبط بمعتقد فاسد، وإذا كنت كذلك فالابتعاد عن هذا المصطلح المحتمل المشكل إلى المصطلح النقي الذي لا يحتمل إلا المعنى الحسن هو المتعين في مثل هذه الحالة.

الخلاصة: قانون الجذب لا يمكن أن يكون محايدًا من الناحية الاعتقادية.

- الشبهة الثانية قولهم: "لدينا في ديننا ما يؤيد قانون الجذب" ويستدلون بعدد من الأدلة، منها قول الله عز وجل -في الحديث القدسي-: ((أنا عند ظن عبدي بي))، وقول الله سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْيِرُ مَا بَقُومَ حَتَّى يَغْيِرُوا مَا بَأَنفُسِهِمْ﴾، وقول القائل: البلاء موكل بالمنطق، ويظنه البعض حديثًا.

١- يوجد أمران مهمان قبل تفصيل الرد على الاستدلالات الواردة في الشبهة:

أ. الأمر الأول: مجرد القول بأن قانون الجذب له دليل شرعي مشكلة كبرى؛ لأن حقيقة قانون الجذب متضمن لعقيدة وحدة الوجود، وتأليه الذات، ومتضمن

للانحراف الشديد في عقيدة القدر، فلا يمكن أن يقول المسلم بأن عليه دليلًا من الشريعة الإسلامية، كأنه يستدل للكفر بالنصوص الشرعية.

ب. الأمر الثاني: لا يمكن أن يقول هذا الكلام قائل إلا من أشكل عليه تصور قانون الجذب، أو في فهم النصوص الشرعية.

فإن من فهم المعنى الصحيح للنص الشرعي علم يقينًا أن المراد بهذا النص ليس موافقا للمراد بالجذب، ومن فهم قانون الجذب على حقيقته علم يقينًا أنه لا يمكن أن يأتي في الشريعة ما يوافق هذا الكفر المتضمّن في قانون الجذب في أصله وفي مبدئه، فإن في ذلك جمع بين النقيضين، كأنك تقول توحيد وشرك في آن واحد.

الحلقة الثامنة:

قانون الجذب:

وحسن الظن بالله تعالى



Albaydha

- تُصَدَّرُ قائمة الاستدلالات بالنصوص الشرعية على قانون الجذب بالحديث القدسي: ((أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء))، فما الجواب على من يظن أن هذا الحديث القدسي يدل على قانون الجذب؟ أو أن حسن الظن بالله عز وجل هو عين قانون الجذب؟

هذا الحديث هو أكثر الأحاديث الذي يستدل به عند محاولة التدليل الشرعي على قانون الجذب، فيفسرون قوله: ((أنا عند ظن عبدي بي)) بأنه إن ظن الإنسان أنه سيحصل على سيارة مثلاً ستأتيه سيارة، أو إن ظن أنه سيرزق ولدًا ذكرًا سيحصل على ولد ذكر، وإن ظن أن الله سبحانه وتعالى سيرزقه وظيفة معينة فتحصل له الوظيفة المعينة، هكذا.

وقبل الرد التفصيلي على المسألة، وبيان المعنى الصحيح للحديث، يحسن البدء ببيان الطريقة الصحيحة في التعامل مع النصوص الشرعية، ومثل هذه الدعاوى العريضة المنتشرة:

أولاً: لا يمكن أن يقول أحد أن هناك اتفاق بين النصوص الشرعية وبين قانون الجذب إلا أن يكون غير متصور للنصوص الشرعية أو غير متصور لقانون الجذب، فلا يتصور من علم بحقيقة قانون الجذب، والنصوص الشرعية أن يقول إنَّ بينهما موافقة.

ثانياً: النصوص الشرعية يفهم بعضها على ضوء بعض، فالقرآن يفسر بعضه بعضاً، ويفسر بالسنة، والسنة تفهم بالسنة الأخرى، ولا يمكن أن يفهم نص شرعي بمعزل عن المنظومة الشرعية المتكاملة، فإن ذلك فعل أهل البدع، وأبرز الانحرافات في باب القدر إنما أتت من الأخذ ببعض النصوص وترك الأخرى.

والذي يتميز به أهل السنة والجماعة، بل من أبرز خصائصهم: الجمع بين النصوص، فلا يؤخذ نص دون النظر في النصوص الأخرى.

ثالثاً: النصوص الشرعية تفهم على منهجية فهم السلف الصالح، من الصحابة - رضوان الله عليهم-، والتابعين، القرون الثلاثة المفضلة، والمحققين من أهل السنة .. إلى آخره.

فالعلماء الراسخين في العلم هم الذين يؤخذ عنهم مفهوم النصوص الشرعية، فإذا أشكل فهم نص شرعي فإنه يرد إلى النصوص الأخرى، ثم إلى فهم السلف ومقالاتهم في هذه النصوص.

وهذا أمر مستقر دل عليه قول الله عز وجل: ﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ﴾ [آل عمران: ٧] إلى آخر الآية.

• الرد التفصيلي على الاستدلال بالحديث القدسي: ((أنا عند ظن عبدي بي)):

المنهجية العامة في التعامل مع الشبهات الواردة في مثل هذا السياق الروحاني، والتي يستدل بها على عقيدة باطلة تكمن في الانطلاق من منطلقين:

الأول: أن هذا النص لا يمكن أن يحمل هذا المعنى الباطل؛ لأجل مناقضته للأصول الاعتقادية: فإذا نظرنا إلى هذا النص: ((أنا عند ظن عبدي بي)) في ضوء بقية النصوص الشرعية علمنا أن المعنى الذي نسبوه لهذا النص لا يمكن أن يكون -على ضوء الأصول الشرعية والأصول الاعتقادية- صحيحاً.

فالقول بأن معناه: أن الإنسان كلما تخيل شيئاً أو أراحه أو شاءه صارت مشيئة الله تابعة لمشيئة العبد، لا يمكن أن يقول به مسلم؛ لأنه معارض للأصل الشرعي الذي دلت عليه جملة كبيرة من النصوص التي تدل على أن مشيئة الله سبحانه وتعالى هي النافذة، ومشيئة العبد تابعة لمشيئة الرب جل جلاله لا العكس!

فإذا قلت بهذا المعنى جعلت الرب -جل جلاله وتقدسست أسماؤه- هو المستجيب، والإنسان يدبر الكون على حسب ما يريد! وهذا ممتنع شرعاً.

الثاني: بيان المعاني الصحيحة للنصوص من خلال استقراء مقالات السلف وكتب التفسير أو الشروح التي يرد فيها المعنى الصحيح للنص الشرعي:

أ. ورد هذا الحديث القدسي بعدة روايات صحيحة أتبع فيها بتتمة، منها:

- (إن ظن خيراً فله، وإن ظن شراً فله).

- وفي رواية أخرى (فليظن بي ما شاء).

- وفي رواية أخرى في صحيح مسلم -رحمه الله- (وأنا معه إذا دعاني).

أما الأحاديث التي ورد فيها كلمة (حسن) فكل الروايات التي وردت بها قد حكم عليها العلماء بالضعف.

ب. المعاني الصحيحة الواردة في هذه الروايات:

المعنى الأول: ورد عن العلماء في قول الله تعالى ((أنا عند ظن عبدي)) أن المقصود بـ"الظن" هو رجاء رحمة الله سبحانه وتعالى عند لقاء الله عز وجل.

عن جابر -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: ((لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله عز وجل))، فقالوا هذا الحديث مفسر للحديث الآخر، وخصوه بما يتعلق بالجزاء الآخروي.

-يقول القرطبي -رحمه الله-: "وينبغي أن يكون خائفاً من ذنبه راجياً عفو ربه، ويكون الخوف في صحته أغلب عليه، إذ لا يعلم بما يختم له، ويكون الرجاء عند حضور أجله أقوى في نفسه لحسن الظن بالله".

-ويقول الخطابي -رحمه الله-: "يعني في حسن عمله، فمن حسن عمله حسن ظنه ومن ساء عمله ساء ظنه".

-وقد رجح هذا المعنى ابن حجر -رحمه الله- في تفسير ((أنا عند ظن عبدي بي)) فقال: " وهو كما قال أهل التحقيق مقيّد بالمحتضر، ويؤيد ذلك حديث: ((لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بربه أو بالله عز وجل))".

فهذا الكلام صريح في مسألة الربط بين الحديثين: الحديث الذي يربط الظن بوقت الوفاة وبين قول الله عز وجل في الحديث القدسي: ((أنا عند ظن عبدي بي)).

المعنى الثاني: أن يكون ظن الإنسان في آخر حياته ظن بأن الله سبحانه وتعالى سيرحمه ويغفر له؛ ولذلك قال بعض العلماء أن هذا خاص بالعبد المؤمن.

-قال ابن بطال -رحمه الله-: "وقوله ((أنا عند ظن عبدي بي)) لا يتوجه إلا إلى المؤمنين خاصة ... وفي القرآن آيات تشهد أن عباده المؤمنين وإن أسرفوا على أنفسهم أنهم عند ظنهم به من المغفرة والرحمة"

فالإنسان في آخر حياته وهو مقبل على ربه يرجو رحمة ربه ومغفرته التي دلت عليها النصوص وأثبتت أنه سبحانه وتعالى رحيم، غفور.

فلو جاء إنسان في آخر حياته وأساء الظن بالله أنه لا يغفر له، أصبح كأنه مكذب لتلك النصوص، ومغفل للصفات التي قد قررها الله سبحانه وتعالى ووصف بها نفسه، فصار هذا من سوء ظن الإنسان بالله، فكان الجزاء أن عوقب؛ لأجل إغفال هذه النصوص.

-ذكر النووي -رحمه الله- في شرحه لصحيح مسلم: "معنى حسن الظن بالله تعالى أن يظن أنه يرحمه ويعفو عنه، قالوا وفي حالة الصحة يكون خائفًا راجيًا ويكونان سواء، وقيل يكون الخوف أرجح فإذا دنت أمارات الموت غلب الرجاء".

فقبل دنو الأجل يتساوى الخوف والرجاء عند الإنسان، وقيل أنه يغلب جانب الخوف حتى يحثه ذلك على العمل، فإذا كان في آخر حياته أو مرض أو انكسر غلب جانب الرجاء، أي: أن يعفو عنه ويغفر له ذنبه.

وهذا الرجاء لابد أن يكون مقترناً بالعمل، يقول الحسن البصري -رحمه الله-: "إن قوما أساءوا العمل، وقالوا نحسن الظن، ولو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل!" ويقول في موضع آخر: "إن قوماً ألتهتهم أمانى المغفرة حتى خرجوا من الدنيا وليست لهم حسنة، يقول إني لحسن الظن بربي وكذب، لو أحسن الظن بربه لأحسن العمل".

يتبين من هذا أن جل المعاني التي ذكرت في حسن الظن عند السلف: أن يكون الرجاء عند الموت، رجاء الرحمة والمغفرة، ورجاء قبول التوبة والعبادة، ولم يفسره السلف بما فسر به المعاصرون اليوم، فلم يقل أحد منهم أن المقصود به: إحسان الظن بأقدارك الحالية ليحصل لك ما تريد من ذلك!

والسلف وأئمة أهل السنة عند تصنيفهم هذا الحديث إنما يصنفونه في أبواب الإيمان والتوحيد لا في أبواب القدر، إنما ذكروا هذا الحديث في الإيمان بالآخرة والعاقبة، ولم يرد في باب القدر وكيف تؤثر فيه؛ فلا توجد حجة للاستدلال بهذا الحديث على هذا مفهوم قانون الجذب من النصوص الشرعية الأخرى، ولا من أقوال السلف، فهو قول مُحدَث جديد لتفسير هذا الحديث.

من الناحية العقلية، لو أردنا مناقشة هذه الحجة مناقشة عقلية، فحسن الظن بالله يستلزم أن تحسن الظن بحكمته وتديره سبحانه وتعالى، وأن ما قدره لك هو خير لك مما تريده أنت لنفسك.

ولو قارن الإنسان: هل ما يريده هو الخير له؟ أو ما يريده الله سبحانه وتعالى له هو الخير؟

بلا شك، اختيار الله سبحانه للعبد هو الخير! وكم من أمر أراد العبد ورجاه فلم يحصل، وتبين له بعد مدة أنه ليس بخير، وكم من أمر حصل للعبد وكرهه ولم يرد، وتبين له بعد مدة أن فيه خير، كما قال سبحانه: ﴿وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم﴾، وكما قال ﷺ: ((عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله له خير، إن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له، وإن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وليس ذلك إلا للمؤمن))، فتدبير الله سبحانه وتعالى للأقدار متضمن للحكمة؛ لأنه هو الأعلم جل جلاله بما فيه الخير.

فمن جعل حسن الظن هو مرادف للجذب، وقال: "معنى حسن الظن أن الذي أريده أنا، وبالطريقة الآلية المعروفة في الجذب هو الأفضل"، جعل الأمر بيد الإنسان في الحقيقة، ولا يكون هذا حسن ظن بالله، بل على هذا القول لا يوجد فعل للرب إلا تنفيذ ما يريده العبد، وهذا لا أن يتصور أن يكون حسن الظن، بل إساءة ظن شديدة بالرب جل وعلا: أن يظن الإنسان بأن الله يعطيه كل ما يريد بدون حكمة، فقد تكون عاقبة ما يريد شر له.

أما الإنسان الذي يقول أنا أفعل الأسباب وأحسن الظن بالله سواء حصل لي ما وافق مرادي أو لم يحصل فهو خير لي؛ لأن الله هو الأعلم بالأنفع لي، فهذا قد كمل حسن ظنه بالله.

ولو تأملنا في دعاء الاستخارة يقول النبي ﷺ: ((اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب)) فيه تبرؤ من الحول والقوة، وتسليم كلي لتقدير الله عز وجل فيما يتعلق بالأقدار والأحداث التي تحدث للإنسان من زواج، أو وظيفة، أو سفر... إلى آخره.

والإنسان بطبيعته يتعلق بشيء معين، لكن الله سبحانه وتعالى أعلم وأحكم جل جلاله، فحسن الظن بالله جل جلاله: هو الاعتقاد بأنه سبحانه الأعلم

والأحكام، وأن ما يكتبه هو خير للعبد، وهذه مرتبة إيمانية عظيمة متعلقة بالرضا بما قدره الله سبحانه وتعالى.

وليس ثمة حرج أن يسأل الإنسان ربه عز وجل شيئاً معيناً يريد، ويلج فيه، لكن يحسن الظن بربه، فقد يعطيه الله عين ما سأل، أو يصرف عنه من الشر مثله، أو يدخره له سبحانه وتعالى أجراً في الآخرة، وكل هذه الثلاثة كلها من حسن الظن بالله.

● معنى سوء الظن:

ليس من سوء الظن بالله سبحانه وتعالى الاعتقاد بأن الله سبحانه وتعالى لا يحقق للإنسان عين رغبته؛ لأن تقدير الله تعالى للأمور مردّه لحكمته، فقد لا يكون المرغوب نافعاً له.

وقد ورد سوء الظن بالله عز وجل في نصوص كثيرة، منها قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ﴾ [فصلت: ٢٣]، وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنِّ السَّوِّءِ﴾ [الفتح: ٦]، وقال تعالى: ﴿بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزِينَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ ظَنَ السَّوِّءِ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا﴾ [الفتح: ١٢].

وكل هذه الآيات تدل على أن هذا الظن السيء مذموم في الشريعة، فهذه الآيات جاءت في وصف الكفار والمنافقين الذين ظنوا أن الله لا ينصر النبي ﷺ، وعلى قول مروجي قانون الجذب فالأصل أن يتحقق ظنهم، لكن حصل خلافه؛ لأن سوء الظن في الشريعة ليس مرتبطاً بالتحقق، وإنما مرتبط بالعقوبة، فهم يعاقبون على سوء ظنهم ويرديهم سوء ظنهم عقوبة في الآخرة، أو يعاقبون على ذلك في الدنيا لكنه لا يتحقق الشيء الذي يظنونه بالضرورة، وهذا على خلاف ما يقوله القائلين بالجذب.

-ذكر ابن القيم -رحمه الله- في زاد المعاد أنواعًا من إساءة الظن التي استقاهها من النصوص، منها: "أن يقنط الإنسان من رحمة ربه، بأن يظن أن الله لا ينصر دينه ونبيه، أو يظن أن الله يعذب أوليائه ويساويهم بأعدائه، كل هذه من سوء الظن"؛ لأنهم جهلوا حكم الله وجهلوا شرع الله وجحدوا صفات الله سبحانه.

وذكر جملة من أنواع سوء الظن، وأورد عليها الأدلة، ولم يذكر في أي من المواضع أن سوء الظن يعني: أن تظن أن الله يعطيك فلا يعطيك!

فسوء الظن متعلق بالقنوط من رحمة الله، والخلط بين ثوابه وعقابه والإيمان بصفاته، وليس اعتقاد أن الله لا يلزمه أن يحقق للإنسان عين رغباته من إساءة الظن.

يقول ابن القيم -رحمه الله-: "فأكثر الخلق، بل كلهم إلا من شاء الله يظنون بالله غير الحق ظن السوء"، ويقول: "فإن غالب بني آدم يعتقد أنه مبخوس الحق ناقص الحظ وأنه يستحق فوق ما أعطاه الله، ولسان حاله يقول: ظلمني ربي ومنعني ما أستحق".

وقول ابن القيم -رحمه الله- يعطي انطباعًا بأن المفهوم المترسخ عند السلف لسوء الظن هو أقرب إلى ما يقوله القائلون بال جذب؛ لأن أصحاب القانون إذا تخلف مراد أحدهم قالوا له: الاستحقاق عندك ناقص، أنت لا تشعر أنك تستحق؛ ولذا لم يتحقق مرادك! فكأنهم يقولون أنا أستحق، وليس الله بمتفضل علي.

ولم يكن قانون الجذب موجودًا في زمنه رحمه الله، لكن مفاد كلامه هو أقرب إلى قانون الجذب منه إلى العقيدة الصحيحة في القدر، والعقيدة الصحيحة في الدعاء، وفي فعل الأسباب وما شابه ذلك.

والمروجون لقانون الجذب يجعلون الذي لا يقر بال جذب مسيء للظن بالله، وفسروا الأدلة الواردة في سوء الظن بما يتناسب مع تفسيرهم لقانون الجذب.

من خلال ما سبق يمكن أن تلخص الفروق بين حسن الظن بالله عز وجل وبين قانون الجذب في أربع مواطن رئيسية:

١- حسن الظن بالله عز وجل مرتبط بالعمل، ولا يشترط في قانون الجذب العمل.

٢- حسن الظن بالله عز وجل هو في باب الأعمال القلبية وصفات الله سبحانه وتعالى، وقانون الجذب هو في صلب القدر.

٣- حسن الظن بالله تسليم لحكمته وعلمه، وأن ما يكتبه للعبد خير مما يريده لنفسه، أما قانون الجذب فيلغي الحكمة الإلهية في القدر ويجعل الحكم فيه

٤- من يحسن الظن بربه يوقن أن عليه فعل السبب لا تحقيق النتائج، في حين أن النتائج في قانون الجذب تكاد تكون مجزومًا بها، وهي بيد الإنسان.

الحلقة التاسعة: قانون الجذب والفأل

الحلقة التاسعة



Albaydha

- الاستدلال الثاني: وهو استدلالهم بأن الرسول ﷺ كان يحب الفأل، أو بقولهم: ((تفاءلوا بالخير تجدوه))، وقول النبي ﷺ: ((لا عدوى ولا طيرة ويعجبني الفأل الصالح)).

الأصل الذي ينبني عليه الفأل قول النبي ﷺ: ((لا عدوى ولا طيرة ويعجبني الفأل الصالح))، وكلمة الفأل الآن أصبحت مشككة بالنسبة إليهم واستدلّاهم بها على موضوع الجذب، لذا كان لابد من تحرير مصطلح الفأل.

• معنى الفأل:

أ. صرح النبي ﷺ بمعنى الفأل في حديثه لما سئل: ما الفأل يا رسول الله؟ قال: ((الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم)) فجعل الفأل كلمة تسر الإنسان يسمعها ويستبشر بها.

وقال ﷺ في حديث آخر: ((الفأل الصالح الكلمة الحسنة)) فالفأل يدور معناه إذاً حول الكلمة الصالحة أو الحسنة يسمعها الإنسان يستبشر بها وينشرح بها صدره، فالنبي ﷺ يشرح طبيعة بشرية.

الإنسان إذا سمع أو قرأ كلمة لطيفة أو جميلة يستبشر بذلك ويقع في صدره شيء من الانشراح والاستبشار بها أو الفرح بسماعها، فهذه طبيعة وجبلة بشرية فطر عليها الإنسان.

وهذا الاستبشار مجرد شعور يشعر به الإنسان، ولا يرتبط بإقدام على العمل ولا تأخر عنه ذلك.

يقول ابن القيم -رحمه الله-: "ليس في الإعجاب بالفأل ومحبه شيء من الشرك، بل ذلك إبانة عن مقتضى الطبيعة وموجب الفطرة الإنسانية التي تميل إلى ما يوافقها ويلائمه، والله جعل في غرائز الناس الإعجاب بسماع الاسم الحسن ومحبه وميل نفوسهم إليه، وكذلك جعل فيها الارتياح

والاستبشار والسرور باسم الفلاح والسلامة والنجاح والتهنئة والبشرى والفوز والظفر ونحو ذلك".

ذكر الشرك هنا؛ لأن الطيرة شرك، والفأل استثنى من أنواع الطيرة؛ لأنه يختلف عنها من جهة أن الفأل لا يؤدي إلى إحجام أو إقدام، في حين أن الطيرة كذلك. وقد كان النبي ﷺ يحب الأسماء الحسنة، والألفاظ التي تدعو إلى الاستبشار وتدعو إلى السعادة عند سماعها وتوافق الطبيعة البشرية.

إذا فالفأل المشروع المستثنى من الطيرة المحرمة هو:

١- ألا يؤدي هذا الفأل إلى إقدام ولا إلى إحجام.

٢- ألا يكون هذا الفأل بقصد من الإنسان.

يقول ابن تيمية -رحمه الله-: "والفأل الذي يحبه النبي ﷺ: هو أن يفعل أمرًا أو يعزم عليه متوكلًا على الله فيسمع الكلمة الحسنة التي تسره"، ويقول الشيخ حافظ الحكمي -رحمه الله-: "ومن شرط الفأل ألا يُعتمد عليه وألا يكون مقصودًا، بل أن يتفق الإنسان ذلك من غير أن يكون له على بال".

وشدد النفراوي في الكلام عن ذلك في الفواكه فقال: "هذا إذا لم يقصده، وأما إذا قصد سمع الفأل ليعمل على ما يسمع من خير أو شر فلا يجوز؛ لأنه من الأضرار المحرمة التي كانت تفعلها الجاهلية".

٣- أن الفأل لا يعتبر سببًا لحصول المرغوب أو المطلوب.

فالاعتقاد بأن سماع الكلمة بحد ذاته سبب في النجاح لا يجوز، أما الاستبشار والسرور فهو طبيعة بشرية، فلا يتصور أن النبي ﷺ يقصد بالفأل أنه إذا قيل مثلاً: يا سالم، أن تكون هذه الكلمة سبب في الشفاء، بل الفأل كما في نص الحديث مجرد كلمة تسره لأجل طبيعة الإنسان وميله الفطري.

فهذه الأمور الثلاثة إن وجدت لا تعد الكلمة فآلًا، بل تصبح طيرة، والطيرة شرك.

وللشيخ ابن عثيمين -رحمه الله- بيان للفرق بين الفأل والطيرة، يقول -رحمه الله-: "إن اعتمد عليه -يعني يقصد الفأل- وكان سبباً لإقدامه فهذا حكمه حكم الطيرة، وإن لم يعتمد عليه ولكنه فرح ونشط وازداد نشاطاً في طلبه فهذا هو الفأل المحمود"، فإذا ارتباطه بالإقدام والإحجام واعتقاد السببية فيه هو الذي ينقله إلى الطيرة.

ب. يستعمل كثير من الناس الفأل كمرادف لكلمة التفاؤل، وهي مختلفة عن الفأل الذي كان يحبه النبي ﷺ، فمن الفروق بينهما:

١- أن التفاؤل لم يرد في الأحاديث النبوية، ولم يرد في كتاب الله عز وجل. ونشير في هذا المقام إلى حديث مروي عن عائشة -رضي الله عنها- يستدل به أحياناً على موضوع الجذب وارتباطه بالتفاؤل، وهو ليس بحديث لكنهم يستدلون به، تقول عائشة -رضي الله عنها- في هذا الحديث المنسوب إلى النبي ﷺ: ما قال ﷺ شعراً قط، وما أتم إلا بيتاً واحداً:

تفاعل بما تهوى يكن فقل ... ما يقال لشيء كان إلا تحقق

وهذا الحديث أنكره المحدثون، وقال فيه الألباني -رحمه الله- في السلسلة الضعيفة: "منكر جداً". فيغلب على هذا الحديث أنه موضوع فلا يمكن أن يستدل أحد بهذه المقولة أو هذا البيت الشعر الذي ينسب إلى أن النبي ﷺ أقرّه.

٢- من جهة اللفظ بينهما اختلاف.

فإن التفاؤل فيه إشارة إلى شيء من التفاعل، ففيه زيادة على مجرد الفأل والاستماع ونحو ذلك؛ ولذلك يقول ابن فارس في تعريفه لكلمة الفأل: "الفأل: ما يتفاعل به" فبينما فرق لطيف.

• معاني التفاؤل:

-المعنى الأول: أن تُطلق كلمة التفاؤل ويُراد بها الفأل الوارد في الشريعة، بمعنى أن يُقال "تفاءل" بمعنى الاستبشار ونحو ذلك.

وهذا لا شك من الأمور المشروعة؛ لأنها جبلية طبيعية توافق ما كان عليه النبي ﷺ إذ أنه يعجب بالكلمة الطيبة.

وعند النظر في الواقع نجد أن الناس قل ما يستخدمون هذا المعنى في كلمة "التفاؤل"، وإنما في كثير من الأحيان يريدون المعاني الأخرى:

-المعنى الثاني: الرجاء، فيقولون مثلاً للمريض "تفاءل بالشفاء" ويُراد بذلك - عند من يقوله- ليكن عندك نوع من الرجاء، كأنه يقول ارج أن الله سبحانه وتعالى يشفيك.

وإطلاق التفاؤل على الرجاء وإن كان فيه نظر؛ لأن المدلول اللغوي للرجاء له مفهوم مختلف حتى عن موضوع الفأل وغير ذلك، إلا أننا لو سلّمنا -جدلاً- أن التفاؤل بهذا المفهوم يراد به الرجاء لكان هذا بلا شك من الأمور المقبولة، بل من العبادات القلبية المحمودة.

فلا ينكر على أحد أنه يقول تفاءل بمعنى كن متعلقاً بالله، هذا أمر مقبول شرعاً، لكنه يختلف عن الجذب ويختلف عن التمني.

الأماني: هو أن يكون لدى الإنسان شيء من الرجاء دون أن يكون لديه شيء من العمل، سواء كان هذا في أمور الدنيا أو في أمور الآخرة، وهذا مذموم شرعاً.

والجذب بعيد عن العمل، وفعل الأسباب، فهو في حقيقته مجرد تمني. يقول ابن القيم -رحمه الله- في الفرق بين التمني والرجاء: "الرجاء يكون مع بذل الجهد، واستفراغ الطاقة في الإتيان بأسباب الظفر والفوز، والتمني حديث النفس بحصول ذلك مع تعطيل الأسباب الموصلة إليه".

فحتى لو صح إطلاق التفاؤل على مفهوم الرجاء، فالرجاء ليس هو التمني، فلا بد من ارتباط هذا التفاؤل بالعمل وفعل الأسباب.

-المعنى الثالث: توقع حصول المرغوب بعينه.

فإذا قيل "تفاءل" يعني توقع أن يحصل لك هذا الذي تريده بعينه، فهو مرتبط بحالة التوقع والتفكير بما الذي سيحصل مستقبلاً.

أ. إن كان المقصود بالتوقع ما هو من باب الرجاء فإنه يكون من الأمور المباحة شرعاً، وربما يكون محموداً في بعض الحالات، فلا إشكال إذا كان المقصود به الرجاء المرتبط بفعل الأسباب، لا يرجع هذا النوع إلى الجذب، ولا يكون الإنسان الذي يتفاءل بهذا المفهوم معتقداً باعتقاد باطل.

ب. إن كان المقصود بالتوقع الاعتقاد بأنه هو بذاته سبب في حصول المرغوب، فهذا هو محل الإشكال والنزاع.

أن يكون التفاؤل مجرد هذه الحركة الفكرية أو القلبية هي الموصلة للأمر المقصود -اعتقاد باطل، وهو يعود إلى قانون الجذب.

وفي هذا المقام يستدل المروجون لقانون الجذب -في الغالب- بالأثر: "تفاءلوا بالخير تجدوه" على أن مجرد التفاؤل والحركة القلبية أو الذهنية في توقع حصول المرغوب كانت سبباً في حصول هذا الأمر المرغوب.

وهذا الأثر لا تصح نسبته إلى النبي ﷺ، بل لا يوجد في أي من كتب السنة، بل هو من أقول الناس، وليست أقوال الناس بحجة.

ولا يعني بالضرورة أن الكلام إن يكن منسوباً إلى النبي ﷺ أن يكون خاطئاً لكنه ليس بحجة ملزمة، فهذا الأثر ليس بحجة أكثر من كلام غيرهم من الناس.

الحلقة العاشرة: قانون الجذب والدُّعاء



● الاستدلال بقول النبي ﷺ: ((ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة)) في صحة قانون الجذب.

أولاً: هذا الحديث يُعد من الروايات الضعيفة التي نسبت إلى النبي ﷺ، ولا تصح نسبته عند أكثر المحدثين، منهم: المنذري، والنووي، والذهبي، والعراقي، والهيثمى، وابن حبان، والألباني في ضعيف الجامع وضعيف الترغيب، جميعهم ضعفوا هذه الرواية، وبينوا أن نسبتها إلى النبي ﷺ لا تصح.

ثانياً: لو سلّمنا -جدلاً- صحة الرواية، أو أردنا توضيح مفهومها عند من صححها - وإن كان الراجح عدم التصحيح- فإننا لا بد أن نتناول هذا الحديث من جهتين:

الأول: مفهوم اليقين (وأنتم موقنون).

ماذا يتضمن اليقين؟

القائلون بالجذب يجعلون اليقين: الاعتقاد بأن الله سيعطيك عين مسألتك أي الشيء المحدد الذي طلبته.

فمثلاً: لو طلبت بيتاً بخمس غرف، وبمساحة معينة، سيحصل لك وفق ما طلبت، يعدّون هذا هو اليقين.

فيحاولون التقريب بين مفهوم الجذب الأصلي الذي يقول "إذا أرسلت الفكرة في الكون فإنها تأتيك بالصورة التي تريدها" ويقولون هو موجود في ديننا، ومرتبطة بالإيمان بالله واليقين به.

والحق أن اليقين في الشريعة مختلف عن الذي عندهم، فاليقين بالله الذي دلت عليه الأدلة المستفيضة يتضمن مجموعة من الأمور:

أ. اليقين بوجود الله سبحانه وتعالى ابتداءً.

ب. اليقين بسماع الله جل جلاله للدعاء.

ج. اليقين بأن الله جل جلاله واسع الملك، مطلق القدرة.

د. التوكل على الله سبحانه وتعالى والتسليم لأمره وحكمته.

إذاً فكل هذه المعاني والإيمانيات مجتمعة تدخل في عموم اليقين بالله سبحانه وتعالى الذي يشترط في الدعاء، وليس منها شيء يدل على أن الإنسان يجزم بحصوله على عين مسألته.

ذكر الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله- في شرح حديث: (ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة): «هذا صححه بعض أهل العلم وضعفه بعضهم ... وكما قلت بالنسبة لقدرة الله يجب أن تكون موقناً بأن الله قادر على ذلك، لكن بالنسبة لما قد يكون من تخلف الأسباب أو وجود الموانع فالإنسان يبقى متردداً؛ لأن الإنسان قد لا يجاب لفوات سبب أو لوجود مانع».

مفاد كلام الشيخ: أن اليقين في قدرة الله سبحانه وتعالى وليس في حصول المطلوب؛ لأن الإنسان يبقى متردداً، لا يثق بتحقيقه جميع شروط الدعاء، وانتفاء موانع الإجابة عنه.

ونقل السيوطي -رحمه الله- في الحديث وجهان، يقول: "أحدهما: أن يقال كونوا أوان الدعاء على حالة تستحقون فيها الإجابة، وذلك بإتيان المعروف واجتناب المنكر وغير ذلك، مع مراعاة أركان الدعاء وآدابه حتى تكون الإجابة على قلبه أغلب من الرد، والثاني: ادعوه معتقدين لوقوع الإجابة، لأن الداعي إذا لم يكن متحققاً في الرجاء لم يكن رجاءه صادقاً، وإذا لم يكن رجاءه صادقاً لم يكن الدعاء خالصاً، والداعي مخلصاً؛ فإن الرجاء هو الباعث على الطلب ولا يتحقق الفرع إلا بتحقيق الأصل".

"على حالة تستحقون فيها الإجابة" الاستحقاق الذي ذكره -رحمه الله- هو استحقاق سببي -وليس استحقاق العوض- جعله الله سبحانه وتعالى حقاً عليه كقول الله سبحانه وتعالى: {وقال ربكم ادعوني أستجب لكم}، فالله سبحانه وتعالى هو الذي جعل هذا حقاً أن الداعي يستجاب له، فكأن السيوطي -رحمه الله- يقول تحققوا من حالتكم حال الدعاء، بالإتيان بالشروط والآداب "وذلك

بإتيان المعروف واجتناب المنكر وغير ذلك، مع مراعاة أركان الدعاء وآدابه حتى تكون الإجابة على قلبه أغلب من الرد".

وقوله: "ادعوه معتقدين لوقوع الإجابة" يفيد أن اليقين في الإجابة، وليس بالضرورة أن تكون الإجابة هي عين المسألة، فيقين الإنسان بالله واعتقاده بأن الله يجيبه مختلف عن اعتقاده بأن الله يعطيه عين مسألته.

وقوله: "لأن الداعي إذا لم يكن متحققاً في الرجاء لم يكن رجاءه صادقاً، وإذا لم يكن رجاءه صادقاً لم يكن الدعاء خالصاً" لفئة جميلة جداً! فإذا كان الإنسان يدعو وعنده شك في أن الله سبحانه وتعالى يجيب الدعوات، لا يكون التفاتاً إلى الله بخضوع.

ويقول المُنَاوي -رحمه الله-: "(ادعوا الله) أي اسألوه من فضله وأنتم موقنون متحققون جازمون بالإجابة حال الدعاء، بأن تكونوا على حال تستحقون فيها الإجابة، بخلوص النية، وحضور الجنان، وفعل الطاعات بالأركان، وقوة الرجاء في الرحمن".

الثاني: مفهوم الإجابة.

مسألة الإجابة يقع فيها الاشتباه عند كثير من الناس وربما استدل كثير منهم بالأثر الوارد عن عمر -رضي الله عنه- "أنا لا أحمل هم الإجابة، ولكن أحمل هم الدعاء فإذا ألهمت الدعاء فإن الإجابة معه" والله سبحانه وتعالى يقول: {ادعوني أستجب لكم} ففضية الإجابة هي حاصلة، لكن ماذا تعني الإجابة؟

مفهوم الإجابة: يقول النبي ﷺ: ((ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث: إما أن تُعَجَّلَ له دعوته، وإما أن يدَّخِرَها له في الآخرة، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها)). ثلاث احتمالات كلها إجابة: -الأول: أن تعجل له دعوته، أي يعطيه عين مسألته، فهذه إجابة.

-الثاني: أن يدَّخِرَها له في الآخرة، فيكون جزاؤه على هذا الدعاء في الآخرة. وهذه إجابة أيضاً وإن لم يتحقق معها عين مسألته، إلا أن دعوته أُجيبَت بصورة

لا تظهر بالطريقة التي كان يريدّها أو التي كان يطلبها في دعائه لحكمة يعلمها الله سبحانه.

-الثالث: أن يصرف عنه من السوء مثلها، وهذه أيضًا من الأمور الغيبية التي لا يدركها الإنسان.

الصباة -رضوان الله عليهم- لما رأوا الخير العظيم الذي يأتي من الله سبحانه وتعالى من خلال الدعاء قالوا بعد ذلك: "إدًا نكثر!" قال النبي ﷺ: ((الله أكثر)). فالنبي ﷺ قطع بأن الإجابة حاصلة، لكنها ليست بالضرورة على الصورة التي يظنها الداعي، بل قد تكون لها صور أخرى.

بعض المروجين يعمدون لهذا الحديث فيحرفون بعض معانيه. يقول أحمد عمارة -وهو في كثير من الأحيان يتلاعب بالنصوص ويبتدع:- "من الأخطاء الشائعة في موضوع الدعاء أن بعض الناس يقولون أن هناك ثلاث احتمالات للإجابة" ويذكر هذا الحديث ثم يقول: "الإنسان هو الذي يختار ما الذي يريده من هذه الأمور الثلاثة؟ هل سيحقق عين المسألة، أو أنه يؤجل له في الآخرة، أو يصرف عنه من الشر مثله" فجعل الاختيار عائد للعبد! وليس لله سبحانه وتعالى.

ومثل هذا القول يرد من عدة أوجه:

-الوجه الأول: أنه لم يقل به أحد من السلف، ولا أحد من الخلف.

فما الذي يجعل هذه المعرفة المناقضة لما فهمه السلف تكون مما غاب عن هؤلاء الجهابذة من العلماء الذين سبقوه وسبقونا في العلم وفي الفضل وفي اللغة وفي أمور كثيرة- وتظهر لهذا المتأخر.

-الوجه الثاني: أن هذا الأمر فيه سوء ظن بالله سبحانه وتعالى إذ كأنه يجعل اختيار الإنسان لنفسه أفضل من اختيار الله جل جلاله له، وأنه هو الذي يعلم الأفضل والأخير لنفسه من رب العالمين سبحانه.

وهذا جهل بالمعنى العظيم المتضمن في هذا الحديث، كأنه يجعل حصول عين المطلوب هو الخيار الأفضل للإنسان من خيار صرف الشر أو ادخار الأجر في الآخرة، وهذا من جهل العبد بحكمة الرب سبحانه وتعالى.

مثال ليتضح المراد: لو أن إنساناً يسأل الله سبحانه وتعالى بيتاً محدداً بعينه، قد يكون هذا البيت مما تنزلزل الأرض من تحته، أو يأتيه فيضان ويجرف البيت، فيحصل للإنسان خسارة مالية عظيمة في هذا البيت الذي كان يدعو الله به، فإذا لم يعط هذا الإنسان عين مسأله، فإنه سبحانه قد صرف عنه هذه الخسارة.

ولو استشعر الإنسان فضل الآخرة على الدنيا لأيقن أن ادخار الأجر في الآخرة من أعظم الإجابات التي يصبو إليها كما قال الله عز وجل: {والآخرة خير وأبقى}، فهي الباقية.

ولا يعني ذلك أن الله سبحانه وتعالى لا يعطي عين المسألة، بل قد وردت النصوص بما يدل على أن الله يجيب السائل ويعطيه عين مسأله كما في الحديث القدسي الذي رواه مسلم: ((يا عبادي كلّم جائع إلا من أطعمته، فاستطعموني أطعمكم)) سألو الطعام فأطعمهم. بل الإشكالية أن تحد الإجابة، فيقال: لم تأت عين المسألة ويتحقق عين المطلوب فإن الإنسان لم يُجب.

- الأثر الوارد عن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- لما قال: "أنا لا أحمل هم الإجابة، ولكن أحمل هم الدعاء فإذا ألهمت الدعاء فإن الإجابة معه".

نقول: هل المقصود بالهم اليقين؟ أم الأسلوب؟ أم اللفظة وصياغتها؟ كما يزعم القائلون بال جذب.

القائلون بال جذب يركزون كثيراً في مسألة الصيغة، وعدد التكرار، وفي كثير من المسائل التفصيلية التي أحيانا ترهق الشخص الذي يريد أن يجذب لنفسه.

وظنوا أن هذا هو مراد عمر بن الخطاب ،وتكلفوا تكلفاً شديداً في حمل هذا الأثر على مثل هذه الأمور.

المقصود بحمل هم الدعاء:

النقطة الأولى: حمل همّ التوفيق للدعاء؛ فكم من شخص يغفل عن الدعاء، وهو من أعظم الأسباب المحققة للمبتغى والمراد! فإذا غفل الإنسان عن هذه العبادة فقد حُرِمَ خيراً كثيراً. فمراده أنه إذا وُفِّقَ لأن يدعو وأن يتخلص من الموانع وأن يحقق الشروط، فقد وفق للإجابة وسهلت.

والتوفيق في الدعاء يكون بالتخلص من الأمور التي ربما تمنع الإجابة كما روي في صحيح مسلم: ((الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء: يا رب يا رب، ومطعمه حرام ومشربه حرام وغُذِّيَّ بالحرام، فأنَّى يستجاب لذلك!)). فالمال الحرام كالربا أو أكل مال اليتيم ونحو ذلك من موانع الإجابة. وأيضا من الموانع: الاستعجال المؤدي إلى ترك الدعاء، ورد في الصحيحين عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: ((يستجاب لأحدكم ما لم يعجل، فيقول: قد دعوت فلم يستجب لي))، وفي روايات أخرى: ((فيترك الدعاء)).

ومسألة الاستعجال فيها معارضة لحكمة الله سبحانه وتعالى، كأن العبد يقول: أريد الآن! قد لا يكون هو الوقت المناسب لإجابة الدعوة، والله سبحانه وتعالى أعلم وأحكم بما هو خير وأصلح.

ومن موانع الدعاء: ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يقول النبي ﷺ: ((والذي نفسي بيده لتأمرنَّ بالمعروف ولتنهونَّ عن المنكر، أو ليوشكنَّ الله أن يبعث عليكم عقاباً منه، ثم تدعونه فلا يستجاب لكم)).

ومن موانع الدعاء: الدعاء بالإثم وقطيعة الرحم، يقول النبي ﷺ: ((ما من مسلم يدعو الله بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا استجاب الله له...)) إلى آخر الحديث.

فوجود موانع للإجابة هو من عدم التوفيق للدعاء، وهو حَرِيٌّ بأن يحمل الإنسان هممه!

وهذا كله يدخل فيه في الأثر الوارد عن عمر -رضي الله عنه- عندما قال: "إني لا أحمل هم الإجابة، ولكن أحمل هم الدعاء". فإذا وفق للتخلص من انتفاء الموانع، وتحقق الشروط؛ فإن الله سبحانه وتعالى مجيب له دعاءه.

ومن اكتملت عنده هذه الصورة الشرعية؛ لا يمكن أن يستعيز عنها بفلسفة الجذب، أو يحاول التقريب بين هذه المعاني العظيمة وبين فلسفة الجذب البعيدة عنها كل البعد!

• ماذا عن شراء ملابس الطفل قبل الحمل، هل يعتبر من اليقين في الدعاء؟

مثال: امرأة تدعو الله سبحانه وتعالى بأن يرزقها ولدًا وتشتري الملابس وتجهزها وهي لم تحمل بعد، وعندها ربما إشكالية أصلًا في مسألة الحمل، وربما طالبت المدة والأمد ولم ترزق بولد فتدعو الله سبحانه وتعالى بحرارة وبيقين، فتشتري الملابس يقينًا بالله سبحانه وتعالى.

وهذا يشبه ما ذكرته إحدى بنات الشيخ السعدي -رحمه الله-، ذكرت أنه كان والدها -رحمه الله- كان في سطح المسجد يصلح مزارع الماء، فسأله أحد المارة: لماذا تفعل ذلك يا شيخ؟ لم ينزل المطر. فقال: غدًا صلاة الاستسقاء.

فوجّه بعض الناس هذه الآثار الواردة عن بعض الصالحين ومثل هذه المواقف، ربما هذه المرأة رزقت بولد بعد ذلك- فيوجهونا على أنها دليل على أن اليقين في هذه الصورة هو سبب في حصول عين المسألة أو المطلوب.

وهذا ينبغي أن نقدم بنقطة ومقدمة يسيرة: أنَّ أفعال الناس -مهما جَلَّ قدرهم ما لم يكن النبي ﷺ أو الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم- لا تعتبر في حد ذاتها سنة أو حجة، لا نقول هي يعني بدعة أو إثم، لكن لا يحتج بها على أنها سنة؛ لأن مقاصدهم تخفى، ولأنهم ليسوا بمعصومين؛ فالنبي ﷺ لما حدَّ السنة قال: ((عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ)) فحدد السنة بفئة معينة، وليست فعل كل أحد يأتي من بعده من الصالحين أو غيرهم؛ ولذلك كل الأئمة يقولون: "اعرض قلبي على الدليل، فإن وافق الدليل كان ذلك، وإن لم يكن فاضربه عَرَضَ الحائط"، و "كُلُّ يُوْخَذ من قوله وَيُرَدِّ، إلا صاحب هذا المقام، أو صاحب هذا القبر ﷺ".

فعلى كل حال هذا أنا لست أناقش هذه القضية بعينها، لكن كمقدمة عامة في الاستدلال بأفعال الناس، فَعَل فلان، أو قال فلان أو كذا من الناس -وإن كان من الصالحين وطلبة العلم-؛ فإن قوله وفعله في ذاته ليس بحجة ما لم يرد في ذلك دليل.

وحقيقة من يستقرئ فعل النبي ﷺ والصحابة -رضوان الله عليهم- وفعل التابعين لا يجد فيه انتشاراً مثل هذا الفعل، ولم يرد عن النبي ﷺ فعله حتى - فيما أعلم- مرة حتى يكون له مستند في فعل النبي ﷺ أو فعل الصحابة - رضوان الله عليهم-، ولا يعني أن هذا الفعل خطأ، لكن أقول هو ليس بسنة فيما يظهر من استعراض سنة النبي ﷺ وأصحابه -رضوان الله عليهم-، ليس هذا الفعل الذي هو استباق الحدث أو التهيئة للحدث قبل وقوعه من خلال الدعاء، ليس من فعل النبي ﷺ ولا الصحابة -رضوان الله عليهم-.

لكن هنا لا بد أن نفرق بين أمرين، بالنسبة لهذا الذي نظف أو أخذ معه المظلة، أو المرأة التي اشترت الملابس، هذا يؤخذ من صورتين:

• **الصورة الأولى:** أن يكون هذا الشخص الذي فعل هذا الفعل -ولا أقصد

به الشيخ السعدي رحمه الله؛ إنما أقصد عموم الناس الذين يفعلون مثل

هذا- إما أن يقصد بأن الشراء الملابس هو السبب في حصول المراد، وهو السبب في تحقق المقصود، فهنا الإشكال.

- **الصورة الثانية:** وإما أن يكون الباعث على الشراء هو **قوة اليقين** بإجابة الله سبحانه وتعالى، وهذا ليس فيه إشكالية، بل هو أمر مطلوب! أن يكون للإنسان قوة يقين بإجابة الله سبحانه وتعالى، وأن يكون لديه رجاء بأن يحصل هذا الشيء الذي يريده، فنحن دائماً لَمَّا نسأل الله نسأله مسألة بعينها، نريد شيئاً محدداً، (يريد أن يشفى هذا الشخص بعينه من المرض)، فدائماً عندما ندعو نحن ندعو بمسألة معينة، ولا بأس في ذلك، ولا بأس أن نرجو من الله سبحانه وتعالى أن يحقق لنا عين المراد، وأن يكون الإنسان لديه شيء من اليقين بأن الله سيحقق المراد، فهذا جاء من تلك الجهة، فهم الآن فعلهم هذا يقيناً بالإجابة، وليس اعتقاداً بأن هذا الفعل سبب في الإجابة!

فيوجد فرق بين الأمرين كبير جداً!

- فالفاعل في الصورة الثانية (التي هي اليقين) الفاعل هو الله سبحانه وتعالى، والمختار هو الله جل جلاله والمتفضل هو الله جل جلاله، وأنا أرجو تفضله ولدي ثقة بتفضله سبحانه وتعالى.
- أما في الصورة الأولى (الذي يعتبر هذا سبباً) في الحقيقة الفاعل هو أنا! أنا بأفعالي وترتيبتي للأشياء المعينة استجلبت ذلك. فإذا وقع قال: بسبب أنني فعلت كذا. بينما الآخر الواثق بالله لا يقول إذا وقع: لأني نظفت الميازيب، أو لأني اشتريت كذا وقع كذا، إنما يقول: أنا فعلي ذلك بسبب اليقين، أرجو من الله أن يحصل ذلك.

ونحن نقول إن هذه الصورة -الصورة الأولى- ليست مخالفة شرعاً، لكن لا نقول أنها الصورة التي يفعلها جميع الناس، هي تحصل في حالات معينة، ولذلك لم يرد حتى عن السعدي -رحمه الله- أنه في كل حالاته فعل ذلك.

وبالمناسبة قرأت مرة حكاية لا أعرف عن مدى صحتها لكن يصلح نذكرها هنا: أن أحد الأئمة في صلاة الاستسقاء -وهذا يدل على الإشكالية في اعتماد مثل هذه الأمور- لما أقبل المصلون قال لهم: "ارجعوا لم تحضروا مظلاتكم؛ فإنكم لن ترزقوا! لو أنكم موقنون بأن الله سبحانه وتعالى سيسقيكم لأتيتم بمظلات، فارجعوا لن يستجاب لكم.

وهذه مشكلة الآن! لما تصل وتعمم وتجعل هي الأصل، ويظن أنها سبب! أو حتى لو لم تربط بالسببية، ففي هذه الصورة هي ليست مربوطة بالضرورة بالسببية وإنما هي بضعف اليقين، أو ضعف الثقة بالله، أو ضعف الرجاء والشك -ربما- بإجابة الرب جل جلاله.

لكن التعامل معها على أنها مسلّمة وتعميمها وتقعيدها بهذا الشكل مشكلة! فأننا أقول لو حصلت مرة مرتين في حالات متفرقة لا يوجد إشكالية، لكن أن يعتبرها الإنسان ديدناً ويعتبرها عادة ويعتبرها سنة، فما ورد عن النبي ﷺ أنه كان يأمر الصحابة -رضوان الله عليهم- عند الاستسقاء بفعل مثل هذا الفعل، أو أن يأخذوا معهم شيئاً يستظلون به، لا أعلم في الآثار عن السلف شيئاً من ذلك.

• الفرق بين الدعاء وقانون الجذب:

١. من أهمها: اعتقاد التأثير فيمن تحديدًا؟ أو من الفاعل تحديدًا؟ ففي الدعاء لا شك أن التعلق والالتفات هو للرب سبحانه وتعالى بأنه هو الفاعل المختار المقدر جل جلاله، وفي الجذب الالتفات بالدرجة الأولى إلى الداخل.
٢. نسبة الفضل، فإذا تحقق المراد عند الداعي فإن الفضل يعود إلى الله سبحانه وتعالى كليةً، فالداعي لا يرى من نفسه أنه تفضل أو فعل شيئاً بأنه سأل وطلب من الله سبحانه وتعالى هذه الأمور التي تحققت له، بينما في الجذب يرى الإنسان أنه قد أنجز إنجازاً، وأن الفضل يعود إليه في كثير من الأحيان، بل ربما في كثير من الوقائع والأحداث لا يلتفت إلى فعل الرب سبحانه وتعالى في التقدير والعطاء والرزق، وإنما يقول: "أنا الذي فعلت وجذبت"، وربما لو سأله أحد: كيف حصل لك هذا؟ لقال: "بفعلي أو بجذبي"، ولم يقل هذا برزق الله أو بفعله سبحانه وتعالى.
٣. اعتبار الدعاء بالمفهوم الشرعي الصحيح أنه قد لا يراد به تحقيق المطلوب بعينه تحديدًا، أو لا يحصل به تحقيق المطلوب بعينه أو عين المسألة، وفي الجذب المقصود هو تحقيق مسألة معينة أو مطلوب بعينه.
٤. جلّ المطلوب في الجذب إنما هو من حطام الدنيا، ولا يلتفت في كثير من الأحيان إلى الأمور الأخروية، ولا نجد أحدًا حقيقةً –من خلال اطلاعي على الطرح القائلين بالجذب فترة طويلة– لا أذكر أن أحدا قال: "أنك تجذب لنفسك الجنة، أو رضى الله، أو النجاة من عذاب القبر، أو غير ذلك"، وإنما كل الكلام يدور حول الأمور الدنيوية، بينما الدعاء هو مَعْنِيٌّ بالأمور العظيمة الجليلة الأخروية، بالإضافة إلى ما يريده الإنسان من ملذات الدنيا أو نحو ذلك، فالغاية الجليلة من الدعاء: تحقيق رضا الله سبحانه وتعالى، ودخول الجنة، ثم تبعًا لذلك تحصل الأمور الدنيوية.

فالإنسان لا شك إنه بالإمكان أن يسأل الله سبحانه وتعالى كل شيء من أمور الدنيا مهما كبرت أو صغرت، فالدعاء شامل لأمور الدنيا والآخرة، بينما الجذب هو مخصص بأمور الدنيا بالدرجة الأولى.

٥. الدعاء عبادة في ذاته، والإنسان مأجور عليه في نفس فعله -بغض النظر عن الحاصل كنتيجة له-، أما في الجذب فإن الأساليب التي يفعلونها لا يمكن أن تصنف على أنها عبادة، وإن لم يأثم الإنسان بها فإنه لا يؤجر عليها، فهي ليست من فعل العبادات المسنونة، وإذا صرفت إلى العبادات فإنها في كثير من صورها -بل جُلّ صورها إن لم تكن كلها- صور مبتدعة، فحتى لو حوّل الجذب إلى دعاء فإن الصيغة هذه التي يدعى بها هي صيغة مبتدعة.

٦. الدعاء فيه تذلل وعبادة واستكانة، وفيه طلب، بينما ممارسات قانون الجذب فيها نوع من الاعتداد بالنفس، وفيها تعظيم للذات بشكل كبير جدًا.

الحلقة الحادية عشرة:

قانون الجذب والنِّيَّات



Albaydha

• هل النية مؤثرة في الواقع؟

لفظ النية أصبح لفظاً مجمل، مع أن المقصود بها عند اللغويين وعند علماء أهل السنة وعند علماء الشريعة واضح وظاهر، لكن في الأزمنة المتأخرة أصبحت كلمة النية تطلق على أمور كثيرة وأشياء متعددة.

-ترجع النية في اللغة إلى جذر "نوى"، فيقال أنويه ونويته، وهي تعبير عن إرادة عمل الشيء أو العزم على فعل شيء معين، ويمكن تقسيمها في المعاني الشرعية إلى قسمين:

-القسم الأول: النية التي تسبق الفعل، ويكون معناها الإرادة المحركة للفعل.

-القسم الثاني: القصد من الفعل، وهذه تكون غالباً مصاحبة للفعل، وأحياناً تسبقه. فهذه هي أبرز الاطلاقات لمصطلح النية في الشريعة الإسلامية.

ولا تطلق النية في الشريعة ولا في اللغة على مطلق الأفكار، ومطلق المشاعر في أي موضع كان، فإطلاق المعاصرين على النية وإرادتهم بها مشاعر الإنسان أو أفكاره الإنسان ليس له مستند شرعي ولا مستند لغوي.

-القسم الأول: النية التي تسبق الفعل، ويكون معناها الإرادة المحركة للفعل. وهي هنا بمعنى القصد والإرادة، فتكون منشأً للفعل ووقوعه، وتأثير هذه الإرادة والنية في حصول الفعل وتغيير الواقع المتعلق به محل اتفاق.

مثال ذلك: إذا نوى أحد فتح الباب، يعزم بإرادة وهذا كأنه نوع من الأمر والإشارة من الدماغ إلى أعضاء الجسد فتتحرك أعضاؤه وتستجيب لهذا الأمر وهذه النية، وتكون تبعاً لهذه الإرادة فيتحرك الإنسان ويفتح الباب.

فتأثيرها في الفعل تحرك الأعضاء للاستجابة، وتأثيرها في الواقع أن الباب انفتح، لكن هذا التأثير مرتبط بماذا بالفعل.

هذا المقصود بأنها محرّكة للفعل، وهي محل اتفاق بين العقلاء أنها ثابتة وأنها موجودة، وهي مؤثرة فقط في الفعل الذي يليها مباشرة.

-القسم الثاني: القصد من الفعل، وهذه تكون غالباً مصاحبة للفعل، وأحياناً تسبقه، ويمكن التعبير عنها بأثر المقاصد القلبية، ويمكن تقسيمها إلى قسمين:

أ. تأثير النية في تصحيح الأعمال وقبولها وجزاء العامل وما شابه ذلك.

فالنية مؤثرة لا شك في صحة الأعمال، وفي قبول العمل، وفي الحكم على العامل إلى آخره، والأصل في هذا الباب قول النبي ﷺ: ((إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى ... فمن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها، أو إلى امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه)).

قال العلماء: قوله: ((الأعمال بالنيات)) هذه متعلقة بحكم العمل، وقوله: ((وإنما لكل امرئ ما نوى)) هذه متعلقة بالحكم على الفاعل.

فصارت شاملة الآن للفعل والحكم على الفعل، والحكم على الفاعل، الحكم على الفعل من حيث الصحة والثبوت والقبول ونحو ذلك، والحكم على الفاعل من حيث الجزاء والعقاب وما شابه.

مثال على هذا على ما ذكره العلماء في التقسيم: من قرأ القرآن بنية العبادة والقربة صارت النية مرتبطة بهذا الفعل من حيث مقصده، فعمله من حيث هو صحيح مقبول بإذن الله، فإذا قرأ القارئ القرآن رياء وسمعة الآن قصده اختلف، مع أن الفعل متمثل، لكن نيته القلبية أنه يريد الرياء ويريد السمعة، أصبح عمله من حيث هو باطل رغم الاتفاق بالظاهر، ويعاقب الإنسان على فعله.

فقوله: ((لكل امرئ ما نوى)) يعني كل يجازى بحسب نيته.

ويختلف العمل إذا كان من العبادات المحضة التي في أصل تشريعها القربة كقراءة القرآن هذه لا يتصور فعلها إلا على وجه العبادة، فلو فعلها الإنسان على غير تلك النية عوقب الإنسان بهذه النية وهذا القصد، فصارت إذا مسببة للعقوبة، أما إذا الفعل التعبدى ليس عبادة محضة فلم يكن في أصل تشريعها القربة كالإحسان والصلة، قد تفعل لأمر دنيوي، فهذا الذي يفعل مثل هذه الأمور للدنيا ((فهجرته إلى ما هاجر إليه))، يحصل له أمر دنيوي ولا يَأْتُم، لكن يفوته الأجر العظيم ما لم يستحضر أن ما يفعله لرضى الله؛ لأن الله سبحانه وتعالى لا يقبل إلا ما كان لوجهه.

ب. القسم الثاني من تأثير النية في الأعمال الباطنة: هو تأثير النية في التوفيق والخذلان.

وهذا هو محل الأخذ والعطاء، والذي دخلت فيه بعض الاشتباهاة، والإشكالية في هذا القسم هو في معايير ضبط مسألة التوفيق والخذلان.

-فإن كان المقصود أمور الدنيا، فهو على معنيين:

أ. العطاء الدنيوي المحسوس: وهذا يشكل عليه أن يكون هذا الأمر مطردًا، وأن يقال بأن كل إنسان حسنت نيته لابد أن يحصل له التوفيق المحسوس في الدنيا.

وهذا فيه مخالفة للنصوص الشرعية التي تدل على أن الصالحين مبتلين في الدنيا، وأن أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، فلا يمكن والعياذ بالله أن يظن بصفوة الخلق -من الأنبياء والصحابة رضوان الله عليهم والصالحين- الذين تتالت عليهم هذه الابتلاءات أن ذلك عائد لسوء نياتهم.

والواقع يشهد بخلاف ذلك، فالإنسان يجد الفساد والفجار تفتح عليهم الدنيا على مصراعيها، فليس هذا المعيار الحق في المسألة.

جاء في الحديث الصحيح: ((لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافر منها شربة ماء)) فليس عطاء الدنيا هو المعيار عند الله سبحانه وتعالى ولا معيار التوفيق والخذلان.

بل الآيات تدل على مسألة أن الصالحين لا بد أن يقع عليهم الفتنة، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْمِ الْبِأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَزَلْزَلُوا﴾ ولذلك لا يمكن القول بأن البلاء مرتبط بسوء النية.

فليس المعيار مطردًا لا حسًا ولا عقلاً ولا شرعًا، قد يحصل في بعض الحالات لكنه ليس بمطرد.

ب. ما يتعلق مثلاً بالبركة واطمئنان القلب أو السعادة: وهذا لا شك أنه من جزاء الحسنة، فالإنسان الذي يعبد الله سبحانه وتعالى ويحسن النية يجازيه الله سبحانه وتعالى بهذه الأمور -إن صح التعبير- المعنوية.

ولذلك يؤثر عن كثير من السلف: "لو يعلم أبناء الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليها بالسيوف"، مع أن أبناء الملوك يعيشون الرفاهية الدنيوية، لكن هذه الراحة القلبية الموجودة عند المؤمن لا يستطيع أن يحصل عليها إلا من اشتراها بالإيمان.

وفي الأثر المعروف عن شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- لما حبس في سجن القلعة كان يقول: "ما يفعل أعدائي بي! أنا جنتي وبستاني في صدري". فهذا من المعاني المستفيضة في كلام السلف وعند الصالحين: أن السعادة القلبية مرتبطة بالطاعة والإيمان، والبركة كذلك في الرزق، والرضى والتسليم، هذه الأمور لا يحصل إلا للمؤمن، فإن كان هذا هو المقصود فهو مسلّم به.

-وإن كان المقصود الأمور الآخروية: فإن هذا مطرد؛ لأن قضية التوفيق والخذلان في الآخرة مرتبطان ارتباطاً مطرداً وقطعياً ووثيقاً بنية الإنسان وقصده ومقاصده، والمراد بتوفيق الآخرة: الثواب، والمراد بخذلان الآخرة: العقاب.

فإن كانت في الأعمال القلبية فإن الإنسان يجازى عليها أو يعاقب؛ لأن الأعمال القلبية قد تكون معصية، وقد تكون شرك، كأن يكون التعلق بغير الله، أو شرك في المحبة، فهذه يعاقب عليها الإنسان في الآخرة.

أما إذا كانت النية -مع التحفظ على تسميتها نية أصلاً- عبارة عن خاطرة وقعت في قلب الإنسان مثلاً في ذات الله سبحانه وتعالى، أو في التوحيد فهذه لا يحاسب عليها الإنسان بنص القرآن وبنص السنة، يقول النبي ﷺ في الحديث الذي رواه مسلم: ((إن الله عز وجل تجاوز لأمتي عما حدثت به أنفسها ما لم تعمل أو تكلم به)).

ولو سلمنا -جدلاً- بأن الذي تحسن نيته تفتح له أبواب الرزق والدنيا، والذي تسوء نيته يغلق في بابه الرزق والتوفيق الدنيوي؛ لكان مع ذلك مفارقاً لصورة الجذب! لأن هذا مبني على مبادئ قيمية معيارها الخير والشر بخلاف الجذب الذي لا ينضبط بخير وشر.

الجذب ذبذبي وليس قيمي، فلا علاقة له بحسن النية، حسن النية أحياناً تجذب لك الشر والمصائب لأنك ما أحسنت طريقة توجيه قوة الذبذبة.

● الاستدلال بقوله تعالى: (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم):

أولاً: ينبغي الرجوع لكتب التفسير لمعرفة معنى الآية.

يقول الطبري -رحمه الله- في تفسير الآية وابن كثير -رحمه الله- وكثير من المفسرين المتقدمين: المقصود بها أن سبحانه وتعالى لا يغير ما بقوم من الرحمة، أو يغير ما بهم من التضييق، حتى يغيروا ما بهم من المعصية والطاعة، فإذا تحولوا من الطاعة إلى المعصية تحول حالهم من الرضا والرحمة إلى العقوبة، وإذا تحول حالهم من المعصية إلى الطاعة فإنه تحول حالهم من العقوبة إلى الرضا والفرج ونحو ذلك.

فليس ثمة أحد من المفسرين من يقول أنها متعلقة بسياق الأقدار وتغير الأفكار، إنما هي مرتبطة بالإيمان والكفر وبالطاعة والمعصية.

بل إن سياق الآية وتاممه يبطل المعنى الذي أرادوا، يقول الله: ﴿وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مردّ له﴾ إسقاط ونقض لما يقولون من أن الإرادة هي المتحكمة والمتصرفة بالكون والأقدار، فإذا أراد الله أمراً لم يرده جذب ولا إرادة. فالاستدلال بهذه الآية لا يستقيم إطلاقاً، وهو استدلال ضعيف حتى من الناحية يعني اللغوية.

• الاستدلال بمقالة: "البلاء موكل بالمنطق"، و"لا تمارضوا فتمرضوا":

يستدل بهذه المقالة كثيراً على قضية الجذب، فيقولون: "الكلمة التي تتلفظ بها تأتيك، أو يحصل لك ما يوافق هذه الكلمة".

• الرد:

أولاً: هذه المقالة لا تصح مرفوعة عن النبي ﷺ، فليست بحديث، وكذلك "لا تمارضوا فتمرضوا" ليست بحديث.

واختلف المؤرخون في نسبتها:

- قيل هي من أمثال الجاهلية التي استمرت في وقت الإسلام وأصبح الناس يتداولونها ويستخدمونها.

- وقيل هي من الاصطلاحات التي استخدمها أبو بكر الصديق -رضي الله عنه- في محاوره صبي من قبيلة ربيعة متعلقة بالأنساب، وأبو بكر الصديق -رضي الله عنه- معروف اهتمامه بالنسب ومعرفته بالأنساب، فكان سألهم: من أي ربيعة أنتم؟ فقالوا: من كذا -يعني من وسطها ومن أفضلها- فقال: منكم فلان ومنكم فلان ومنكم فلان؟ فقالوا: لا لا لا، -يعني يذكر الأشخاص المرموقين المعروفين في القبيلة- فقال: إذا أنتم لستم من صفوة القبيلة، فجاء هذا الصبي فقال لأبي بكر الصديق -رضي الله عنه-: وأنت ممن؟ فقال: أنا فلان ابن فلان فقال من أيها؟ فبدأ يعد أشخاصاً من تيم، فقال: إذا أنت أيضاً لست من أشrafهم، فذكر أنه -رضي الله عنه- في قال في آخرها: "أجل إن لكل طامة طامة، وإن البلاء موكل بالمنطق".

وفي ثبوتها أصلاً عنه مقال، ولو ثبتت فهي على هذا المعنى الصحيح، فهو قالها بمعنى: أنا الذي ابتدأت بهذا هذا الأمر واستثرت الصبي علي.

ومن المعاني الصحيحة لهذه المقولة:

أ. التلفظ بما يوجب العقوبة الإلهية، فتكون العقوبة الإلهية مرتبطة بالمنطق الذي أوجب تلك العقوبة، مثل الدعوة الكاذبة خاصة في الرؤيا، أو الشماتة، أو السخرية، أو التطير، أو التألي على الله، أو الاعتراض على الشارع وتكذيبه، وهذه دلت نصوص كثيرة مستفيضة.

ب. التلفظ بما يوجب العقوبة البشرية، فمثلاً: يتلفظ إنسان بما يغضب شخصاً ذا سلطة، فيأتيه بلاء بناء على الكلمة التي ذكرها.

يحكى أن ابن السكيت جلس مع المتوكل في يوم من الأيام -وكان مريباً لأبنائه- فجاء ابنا المتوكل، فقال: أيهما أحب إليك: أبنائي أم الحسن والحسين؟ فقال: والله إن قبر خادم علي -رضي الله عنه- خير منك ومن ابنك، فقال: سلوا لسانه من قفاه، ففُطع لسانه فمات، ويذكر أنه أنشد قبل ذلك:

يصاب الفتى من عثرة بلسانه ... وليس يصاب المرء من عثرة الرجل

فعثرته في القول تذهب رأسه ... وعثرته في الرجل تبرأ على مهل

ج. التحذير من آفات اللسان ووجوب حفظه؛ لما تجره هذه الآفات من الشرور والبلاء، يقول المناوي -رحمه الله- في التيسير: "البلاء موكل بالقول يعني العبد في سلامة ما سكت فإذا تكلم عُرف ما عنده بالنطق فيتعرض للخطر أو الظفر"، ويقول أبو عبد الرحمن السلمي -رحمه الله-: "إن من عيوب النفس كثرة الكلام، وجعله من الأسباب الكاشفة عن قلة علم المتكلم، فيأتيه البلاء بسبب ما يعلمه الناس عنه بمنطقه من النقص والجهل"، ويمكن أن يقال مثلاً أن يتكلم الإنسان بما عنده من الأموال فيأتيه اللص ويسرقه مثلاً، فيكون هذا البلاء موكل بالمنطق، بمعنى لما تلفظ وأفصح عما عنده جاءه البلاء المرتبط بهذا المنطق.

د. التمني والدعاء بالمكروه، يقول النبي ﷺ: ((لا تدعوا على أنفسكم ولا تدعوا على أولادكم ولا تدعوا على أموالكم، لا توافقوا من الله ساعة يسأل فيها عطاء فيستجيب لكم)) فصار المنطق هنا هو الدعاء، وصار البلاء هو استجابة الدعاء.

هـ. تلقين الخصم حجة، فمثلاً: يختار شخص بماذا يفعل ليضرك، فتقول أنت كلمة يكون فيها نوع تلقينه نقطة ضعفك التي يمكن أن يهاجمك من خلالها، فيكون البلاء موكل بالمنطق، أورد العلماء على ذلك مثلاً بقول نبي الله يعقوب عليه السلام لما قال: ﴿وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ﴾ فكأنه لقنهم بالحيلة أو نبههم إلى شيء ربما كانوا غافلين عنه، فصار هذا البلاء مرتبطاً بهذا التلفظ.

وكل هذه المعاني ليست مرتبطة بموضوع الجذب، وليس منها شيء يدل على أن مجرد اللفظة يقع بها المتلفظ به إلا أن تكون داخلية تحت هذه الأنواع والأقسام.

أما اعتقاد مجرد اللفظ موقعاً للأقدار والبلاء فهذا حتى من الناحية العقلية ليس له مبرر، فمثلاً: لو أصيب إنسان بمرض، هل يفسر الأطباء هذا المرض بتلفظ الإنسان به؟ لا يستقيم عقلاً، لو كان يستقيم لأصبح الأطباء الذين يشخصون الأمراض باستمرار ممتلئون بالأمراض.

قد يحس الإنسان مثلاً إذا هم بسفر أن يتعرض لحادث فينقبض قلبه، هذا من الجبلة الطبيعية، وربما يتعرض لحادث فعلاً، لكن أن يظن أن تلفظ الإنسان وكلامه عن حوادث الطائرات سيتسبب في سقوط الطائرة، ولأجل ذلك لن يسافر هنا تقع الإشكالية ويدخل الإنسان في مسألة الطيرة الشركية المحرمة.

● مسألة: هل تحصل الأمنيات القلبية بمجرد التمني؟

الأظهر أن الأمناني المقصودة في الآثار والنصوص مقصود بها ما ينطق به اللسان من الأمناني، وتكون عادة بمعنى السؤال لا ما يضره القلب أو ما يكتمه، فإن العبد لا يحاسب على ما يضره في قلبه من حديث النفس أو نحو ذلك ولا يعاقب عليه، كما قال النبي ﷺ: ((إن الله تجاوز عن أمتي ما حدثت به أنفسها))، وقال النبي ﷺ: ((إذا تمنى أحدكم فليكثر، فإنما يسأله ربه عز وجل)) فدل هذا على أن التمني المقصود إنما هو السؤال والدعاء، وليس مجرد التمني الذي هو بالقلب، بل هذا التمني الذي هو فعل القلب المجرد يذم الإنسان الذي يعتقد تأثيره دون أن يكون ثمة فعل.

الحلقة الثانية عشرة: قانون الجذب: مغالطات وتناقضات



بعض الناس يقول: إن قانون الجذب قانون كوني محايد، خلقه الله من جملة الأسباب، فأنا أستفيد منه كما يستفيد منه الكافر؛ كالأكل والشرب قانون أيضاً طبيعي، أو قد يصنف أنه قانون كوني، فهل قانون الجذب فعلاً قانون كوني؟

القوانين تنقسم إلى:

١/ قانون وضعي: ويُراد به القواعد التي توضع من قبل البشر؛ لأجل تنظيم حياتهم أو ما شابه ذلك، كما نقول مثلاً: هذا قانون سير، قانون مرور ... إلخ فهي ليست قواعد أصيلة، وإنما هي قواعد وضعية وضعها البشر لأجل التنظيم ولأجل الضبط، وهذا ليس هو المقصود بقانون الجذب.

٢/ قانون كوني أو طبيعي: ويطلق عليه السنة الطبيعية أو السنة الكونية.

وهذا الذي يقصدونه عندما يقولون هو قانون كوني؛ ولذلك يصفونه بأنه محايد مثل بقية القوانين الطبيعية التي تعد محايدة لا يفرّق بين من يفعله، واعتقاد هذا الفاعل.

فمثلاً: لو أتى شخص بنار ووضعها عند جسم قابل للاحتراق لاحترق الجسم بغض النظر عما يعتقد الفاعل: مسلم، أو كافر، اعتقد أنها تحرق أو لم يعتقد.

فهو قانون طبيعي -إن صح التعبير- ثابت في الكون، ودور الإنسان هو اكتشافه وتصوّره على الصورة التي هو عليها وما شابه ذلك، وهو من الله، ليس من صنع البشر، وهذا مرادهم في قانون الجذب.

وبالنظر إلى التعريف الذي ينضبط به القانون الكوني أو الطبيعي نجد أنه يدور حول معنى كونه نوع من النظام أو التعبير عن علاقة بين أشياء في الظواهر الطبيعية ثابتة عند تماثل الظروف، أي أن نتائجها تكون متماثلة إذا تماثلت الظروف في كل مرة، ولا ينخرم؛ ولذلك يسمى قانوناً.

مثال ذلك: الاحتراق، إذا وُجدت الظروف المتماثلة من البيئة التي تقبل الاحتراق والجسم الذي يقبل الاحتراق، ثم الحرارة المحرقة، واجتمعت هذه في أي ظرف كان، في أي وقت كان، ما دامت الظروف والشروط قد تحققت فإن الاحتراق سيحصل، ومثله التجمّد أو التفاعلات الكيميائية وغير ذلك.

الإشكالية في تسمية قانون الجذب قانوناً: أن تحقق نتائج غير مطرد، فالناظر في الواقع يجد أنه ينخرم مرة ومرتين وثلاث وأربع، بل الأصل أنه ينخرم، وإذا تحقق لمدعيه شيء من ادعاءاتهم فرحوا بذلك ونشروه؛ لأنها حالات في شاذة، ليست هي الأصل الذي يحصل عليه الإنسان.

فالقانون من الناحية العلمية لابد أن تكون له صفة الاطراد، ويعرف بأنه مطرد بعمل التجارب المختبرية - ما لم يكن طبعاً من الأمور الضرورية- وقطعاً قانون الجذب ليس من الضروريات التي يُسلّم بها قطعاً.

ولا توجد أي دراسة علمية أو اختبار في مختبر أُجري على ما يسمى قانون الجذب فوصل إلى نتيجة تفيد بأنه يؤدي إلى نتائج بالآلية التي يذكرونها في قانون الجذب، وهي: أن تكون للفكرة ذبذبات تجذب إليها الذبذبات المماثلة أو تذهب إلى الكون فتتكثف وتتجلى.

هذه الآلية التي يصفون بها عمل قانون الجذب لم تثبت لا في دراسة ولا في تجربة علمية محترمة أو معتبرة.

إضافةً إلى ذلك فإن القوانين الطبيعية أو الكونية كقانون التجمد مثلاً أو قانون الاحتراق أو غيرها من القوانين الفيزيائية والمادية، الأصل أنه لا يوجد ما يعارضها عقلاً أو حساً؛ لأنها من الأمور المسلّمة، في حين أن قانون الجذب ترد عليه اعتراضات من الناحية العقلية ومن الناحية الحسية.

-فمن الجانب الحسي (المادي):

أولاً: لا يُسمّى القانون قانوناً في العلوم التجريبية والطبيعية حتى يتم إثباته، وهذا لم يحصل في قانون الجذب.

ثانيًا: أن هذا القانون غير قابل للدحض، يعني غير قابل للإبطال، وأي شيء ليس ثمة إمكانية في إبطاله لا يمكن أن يدخل أصلًا في مجال وفي إطار العلوم التجريبية؛ لأن أي شيء يدرس في العلم التجريبي لابد أن يكون قابلاً للدحض وإثبات أنه باطل.

فقانون الجذب باطل؛ لكن لا يمكن أن يُثبت تجريبيًا بأنه باطل لأجل المخارج الإسعافية التي يضعونها لأجل أن يردوا على كل من يقول "لم يعمل معي قانون الجذب"، ففي كل محاولة لقول: "لا يثبت قانون الجذب لأجل كذا" يرد مدّعوه بعذر يجعله في المقابل غير قابل للدحض.

ولبسط الصورة: لو قال أحد: "قانون الجذب يوصلك إلى مرادك" فإذا ما وصلت لمرادك يعطيك ردًا، ويقول مثلًا: "أنت لم تعتقد بما فيه الكفاية" كيف يقاس اعتقاد الإنسان في المختبر؟

-فإن أتى وقال: "الذي يعتقد اعتقادًا عاليًا بقانون الجذب ستحصل له النتيجة، والذي يعتقد باعتقاد منخفض لن تحصل له النتيجة"

لا يضبط هذا الاعتقاد بطريقة حسّية تجريبية؟ يستحيل ذلك إلا بالاعتماد على النتيجة التي تحصل وهذا دور، إذا حصلت النتيجة قال إذا اعتقادك عال، وإذا لم تحصل النتيجة قال اعتقادك منخفض.

-ومن مخارجهم قولهم مثلًا: "أنت لم تلتزم الصيغ والتوكيدات الصحيحة"، وهذا أيضًا غير منضبط؛ لأنه لو أعطاك التوكيدات الصحيحة -على زعمه- أحالك إلى الإشكالية الأولى: أنت لم توقن بها.

-أو يحيل إلى عذر آخر: وهو أن هذا المطلوب لن يحصل فورًا، ولا يحدد وقتًا لحصوله، بل هو مفتوح، وربما فنى العمر قبل أن يحصل هذا المقصود، ولا يحق السؤال عن وقت حصوله؛ لأن السؤال عن ذلك ارتباط وتعلق، والارتباط والتعلق ينفي الجذب.

فليس هذا قانونًا كونيًا، القوانين الكونية لا تؤثر فيها المعتقدات والميول والشكوك.

التي يؤثر فيها الشك هي العقائد، الإيمانيات، والعقائد، والأفكار، أما القانون الطبيعي الكوني فهذا لا يؤثر فيه مسألة الشك وغير ذلك.

ثالثًا: أنهم يبنون القانون على قاعدة: المثل يجذب المثل.

وهذه القاعدة في الواقع غير مطّردة، بل وجد في الواقع أن الأمور المتعارضة والمختلفة في كثير من الأحيان في الطبيعة تنجذب إلى بعضها البعض، على سبيل المثال: الشحنات الموجبة والشحنات السالبة في المغناطيس، الموجات المتشابهة تتنافر، والموجات المختلفة تتجاذب، فالمقصود أنه ليس مطّردًا بهذا المفهوم.

رابعًا: بالنظر إلى حال معتقدي هذا القانون، لو أنهم تركوا الأسباب فيما يحتاجون إليه حقًا، لن يعتمدوا على قانون الجذب فقط، فإن ذلك ضرب من الجنون، فلو أن إنسانًا مرض بمرض عَضال خطير، وفي المشافي العلاج المناسب لهذا المرض، هل يُتصوّر أن يجلس في البيت ويقول التوكيدات الإيجابية (أنا متعافي، أنا صحيح البدن) أم يذهب إلى المشفى ويطلب الدواء والأسباب التي شرعها الله سبحانه وتعالى؟

فالواقع أنه حتى المروجين لهذا القانون إذا حصل أمر خطير بالنسبة لأنفسهم أو أولادهم وما شابه سيفعلون الأسباب الحسية، ولن يعتمدوا اعتمادًا كليًا على الجذب، مع أنه الجذب بالنسبة إليهم هو أقوى من السبب الحسي، فواقعهم يعني يدل على خلاف ذلك.

بالإضافة لذلك: عند النظر لرؤاد قانون الجذب كواين داير، أو جري هكس كلهم ماتوا بأمراض خطيرة، وكان بالإمكان أن يجذبوا إلى أنفسهم العافية لو أن هذا القانون ينفع.

-من الناحية العقلية:

توجد ثغرات كبيرة عقلية هي في الحقيقة تبطل هذا القانون وتسقطه، من ذلك:

أولاً: حصول الأشياء غير المتوقعة: لو نظرت في حياتك ستجد حصول أمور غير متوقعة كثيرة، وبناءً على قانون الجذب يفترض ألا تحصل هذه الأمور؛ لأن الإنسان -بزعمهم- هو الذي يدير أقداره، وكل ما يحصل له من حوله إنما هو مبني على أفكاره ومشاعره، فإذا كان الإنسان غير متهيئ لا يحصل له الأمر، فلا يحدث أمر لا يتوقعه الإنسان، لا يحصل إلا ما يفكر فيه إما يخافه أو يرجوه في قانونهم؛ لأن القانون كما يقولون لا يميّز بين الحق والباطل.

ثانياً: من الإشكالات العقلية مسألة: تعارض الجاذبين الجذب، فلو أن شخصين جذبا حالة واحدة معيّنة، ومع افتراض تساوي القدرة في الجذب، وتساوي الشروط.

وهذا يذكر بدليل التمانع عند المتكلمين -وهو دليل عقلي على الربوبية عندهم- يفترضون وجود ربّين متساويين من كل وجه، فإذا أراد أحدهما شيئاً وأراد الآخر شيئاً آخر:

- فإما ألا يحصل مراد أي منهما فلا تتحقق الربوبية في أي منهما، وهنا في الجذب لو أنه لم يحصل مراد الشخص بطل الجذب؛ لأن المفترض أن يكون قانوناً مطّرداً، كلما تحققت الشروط حصل المراد.

- وإما أن يحصل مراد الاثنين؛ وهذا ممتنع إذا كان الأمر متعارض، لا يمكن أن يحصل.

- وإما أن يحصل مراد أحدهما: وهذا يعني تعذّر الجذب، فلماذا تحقق للأول، ولم يتحقق الثاني؟ هو بذلك لا يكون مطّرداً.

فمن الناحية العقلية قانون الجذب غير ممكن لأنه لا يتّصور ما الذي سيحدث عند تعارض أفكار ومعتقدات ومشاعر الجاذبين على مستوى واحد.

في مقدمة فيلم السر التشويقية عرض موقف لشخص يقول: سأتأخر عن العمل، فاتفقت كل الأشياء عليه، لم تعمل ساعته، وحصلت له أشياء كثيرة تؤخره عن العمل، حتى أنه وقف في شارع مزدحم جدًا أخره عن العمل فيه مئات السيارات. والذي يخطر في بال الإنسان العاقل المتفحص التساؤل عن بقية الأشخاص الواقعيين في الازدحام المروري، هل جميعهم كانت لديهم نظرة متشائمة؟ فالازدحام قدّر على كل هؤلاء: الجاذب والذي لم يجذب، والذي جذب خيرًا والذي جذب شرًا، النتيجة القدرية واحدة على الجميع.

ثالثًا: من الإشكالات العقلية في قانون الجذب ما يتعلق بمسألة التأثير في الآخرين.

لا يقتصر معتقدو القانون على جذب الأمور المادية فقط، بل يستعملونه في كثير لجذب العلاقات، فهل يُساق الإنسان بجذب الآخرين، أو له إرادة مستقلة؟ فيقعون الآن في إشكالية ليس لهم عليها إجابات مقنعة، بل هي أقرب ما تكون إلى التهرب من هذه المعضلات المنطقية التي تواجه مثل هذا القانون الفلسفي الاعتقادي.

● مسألة: ما مدى صحة الاستدلال بالتجربة الشخصية وتعميمها وجعلها قانونًا؟

أولًا: من المعلوم أن السببية لا تثبت بالتجربة الشخصية، وهذا ثابت ومستقر في علوم الشريعة، وفي العلوم التجريبية على حدٍ سواء.

فمن جهة العلوم الشرعية يظهر ذلك في تحريم تعليق الحلقة والخيط ونحوها؛ لأن معلقها وضعوها فحصل لهم مرادهم اتفاقًا، فظنوا أن هذا الاقتران هو سببية.

ولذلك عبّر العلماء في مسألة ثبوت السبب الكوني بأنه ما ثبت بالاطراد، أي أنه يحدث باستمرار عند تماثل الظروف، كما هو تفسير القانون عند التجريبيين. ومن جهة العلوم التجريبية: الحكايات والقصص لا تقبل، لابد من اطراد العلاقة السببية.

فإذاً على الصعيدين الشرعي والعلم التجريبي لا تقبل التجارب الشخصية الفردية.

وهذا على افتراض عدم وجود إشكالات في السبب نفسه أصلاً، فقانون الجذب مثلاً ليست الإشكالية فيه مجرد ثبوت السببية أو لا، بل الإشكالية هي فيما يتضمنه هذا القانون وما بُني عليه من الفلسفات المنحرفة، بالإضافة إلى مسألة السببية.

فبمجرد النظر في حقيقته وأصله وماهيّته، والنظر في المزاغم المرتبطة به، هذا يكفي لرده بغض النظر عن التجارب.

ثانياً: ممارسات الجذب أو آلياته قد تكون مؤثرة في السلوك، سواءً كان ذلك بقصد السلوك والعمل أو بغير قصد.

مثلاً: لو أراد أحد جذب وظيفة لنفسه، وفعل ممارسات الجذب: كرر الكلمات، بدأ يتقمص الدور، وبدأ يكرر، الذي يحصل في بعض الأحيان أن الإنسان مع كثرة انهماكه في هذه الفكرة وتقمصه لها يبدأ بالسعي الجاد الفعلي بقصد الحصول على هذا المراد، فيقترن مع الاعتقاد الذي يعتقده: عمل حقيقي محسوس، وهذا العمل هو سبب صحيح للوصول إلى المقصود، فإذا وصل للمقصود نسب ذلك للجذب وليس إلى السبب الحقيقي -بعد توفيق الله- الذي هو فعله إلى جانب الجذب.

فإذاً الأسباب التي قد تكون مؤثرة والتي بسببها يحصل المراد ليست هي الجذب وإنما الأسباب الحسية التي يفعلها الإنسان مصاحبة للجذب، خاصةً عند الناس الذين يقولون لا تعارض بين العمل والجذب.

وهذا لا يجعل هذه الأفكار مباحة، لكننا نبين هذه الظاهرة، وهي حصول أثر القانون عند بعض الأشخاص: فإما أن يكونوا عملوا أعمالاً مصاحبة حسية فتكون هي المؤثرة، وإما أن يكونوا قد تأثر بالأفكار وانهمكوا فيها فأثرت على شخصياتهم وسلوكهم بطريقة غير مقصودة للإنسان، ولذلك في كثير من الأحيان أصلاً لا ينتبهون لها ولا ينسبون السببية إليها.

ثالثاً: ما يُعرف بالتأثير الوهمي: يتوهم الإنسان أن هذا الذي فعله قد أثر أثراً حقيقياً، وهذا إما أن يكون بما يُعرف بـ: (الوعي الانتقائي) أو (الانحياز التوكيدي) أو ما شابه ذلك، والمراد: أن الإنسان إذا كان معتقداً بشيء معين فإن هذا الاعتقاد يؤثر على نظره للأشياء.

على سبيل المثال: الأشخاص الذين يقولون إذا فكرت بشخص فإن هذا الشخص يتصل بي أو يحضر، الواقع أن هذا الإنسان إنما ينتبه ويتحيز للحالات التي يكون فيها هذا الاتفاق، ويحصل خلاف ذلك كثيراً لا ينتبه إليه؛ لأن اهتمامه واعتقاده مرتبط بهذه الحالة الشاذة.

ووجه التحيز أنه أغفل جميع الحالات التي لم يحصل فيها الاتفاق هذا، وانتبه إلى الحالات التي حصل فيها هذا الاتفاق.

وهذا الوعي الانتقائي إما يكون بالتذكر فيتذكر الأشياء التي تتفق مع اعتقاده، وإما أن يكون بالتفسير فإذا حصل شيء فسّره بناءً على اعتقاده، فيكون هذا النوع من التحيز فيه ميل مجحف.

رابعاً: مكر الشيطان ووسوسته، فلا يستبعد أن يأتي الشيطان فيوسوس لشخص يطلب المال عن طريق الجذب، ويوسوس لشخص آخر أعط فلان مال، يقذف في ذهنه هذا الأمر، فيستجيب هذا ويستجيب هذا، ويتقبل هذا الممارس للجذب هذه العقيدة لأجل هذا العمل أو هذا الحدث الذي حصل بوسوسة من الشيطان، ولا نستطيع أن نجزم بهذا في حالة معينة، لكنه لا يُستبعد إطلاقاً في كل الأحوال، أن يكون ثمة وسوسة.

وقريب من هذا المعنى ما ورد في حديث ابن مسعود مع امرأته -رضي الله عنهما-، وذكره الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- في كتاب التوحيد، لما جاءت امرأته إليه وقالت: كنت في الجاهلية في عيني قذى -يعني أذى- فإذا ذهبت إلى فلان اليهودي يرقئها فتبرأ، كأنها تقول فسّر لي النتيجة، فقال: "إنما ذلك كان الشيطان ينزحها، فإذا أشركت أو فعلت هذا الفعل كفّ عنها ورفع يده عنها".

● ما نتائج الاعتماد على مثل هذه التجارب الشخصية؟

الاعتقاد بال جذب عمومًا يسبب كثيرًا من الإشكالات النفسية فضلًا عن الإشكالات الاعتقادية.

أولاً: غياب الرحمة والتعاطف بين الناس، فهذا أمر وارد جدًا عندما يكون الجذب هو الأساس عندهم؛ لأنه كلما رأى أحدًا في مصيبة قال يستحقها هو الذي جذبها لنفسه، وهذا يشبه قانون الكارما وعقيدة الكارما عند الهندوس الذين تكثر في مجتمعاتهم الطبقية بشكل كبير ومقيد، ولا يوجد هذا التعاطف الكبير بين هذه الطبقات؛ لأجل نسبة المصائب ونسبة الفقر والمرض إلى الإنسان نفسه.

ثانيًا: لوم الضحية، فلما يُضرب الإنسان مثلاً أو يُسرق أو امرأة يُنتهك عرضها، المعلوم في ذلك على حد سواء الفاعل والمفعول به، ويقولون: أنت الذي جذبت لنفسك المصائب، فيلام الإنسان المصاب بدلاً من أن يلام الشخص الذي فعل.

وهذا طبعًا بخلاف الإنسان الذي يذهب في أحسن حلة أو يستعرض في منطقة مثلاً تكثر فيها الجرائم، هذا يلام عليه أو على الأقل يُعاتب على فعله هذا وتعريضه نفسه للمصيبة، لكن المقصود الحديث عن شخص لم يفعل الأسباب الموجبة لهذه المصيبة وحصلت له بفعل شخص آخر، فبناءً على قانون الجذب الذي يلام هو الإنسان المصاب.

ثالثاً: تحطيم نفسية الإنسان، وهم يريدون أن يرفعون الإنسان، وهي في الحقيقة تحطيم للإنسان؛ لأنه مهما فعل الإنسان فلن تصفو له الدنيا ﴿لقد خلقنا الإنسان في كبد﴾ فلا بد أن تقع في مصاب، فإذا كان الأمر مرتبط بك أنت، أنت المخطئ وأنت الفاعل فيحصل نوع من التحطيم للنفس، بخلاف الإنسان الراضي والمؤمن بالقضاء والقدر إذا حصل له ما يريد حمد الله عز وجل، وإذا أصابه خلاف ذلك فإنه يحمد الله كذلك، ويقول: قدر الله وما شاء فعل، يؤمن بالقدر ويطمئن بأن الذي حصل مكتوب عليه قبل أن تُخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة.

هذا كلها من الأسباب الموجبة لراحة القلب، لا توجد إلا عند المؤمن، ولذلك قال النبي ﷺ يقول: ((عجباً لأمر المؤمن، إن أمره كله له خير، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن)).



تتوفر حلقات (بودكاست خط)
عبر المنصات التالية



Al b a y d h a



A l b a y d h a . s a